وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

جهود المعز بن باديس في إعادة بعث المذهب السني في بلاد المغرب الإسلامي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين:

- مرابطين عمار
- رشراش إدريس

إشراف الأستاذ:

د. محمد الصديق محمودي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د. همال عبد السلام	جامعة محمد بوضياف – المسيلة -	رئيسا
د. محمودي محمد الصديق	جامعة محمد بوضياف – المسيلة -	مشرفا ومقررا
د. مليزي ريمة	جامعة محمد بوضياف – المسيلة -	مناقشا

السنة الجامعية: 2023 - 2024 م

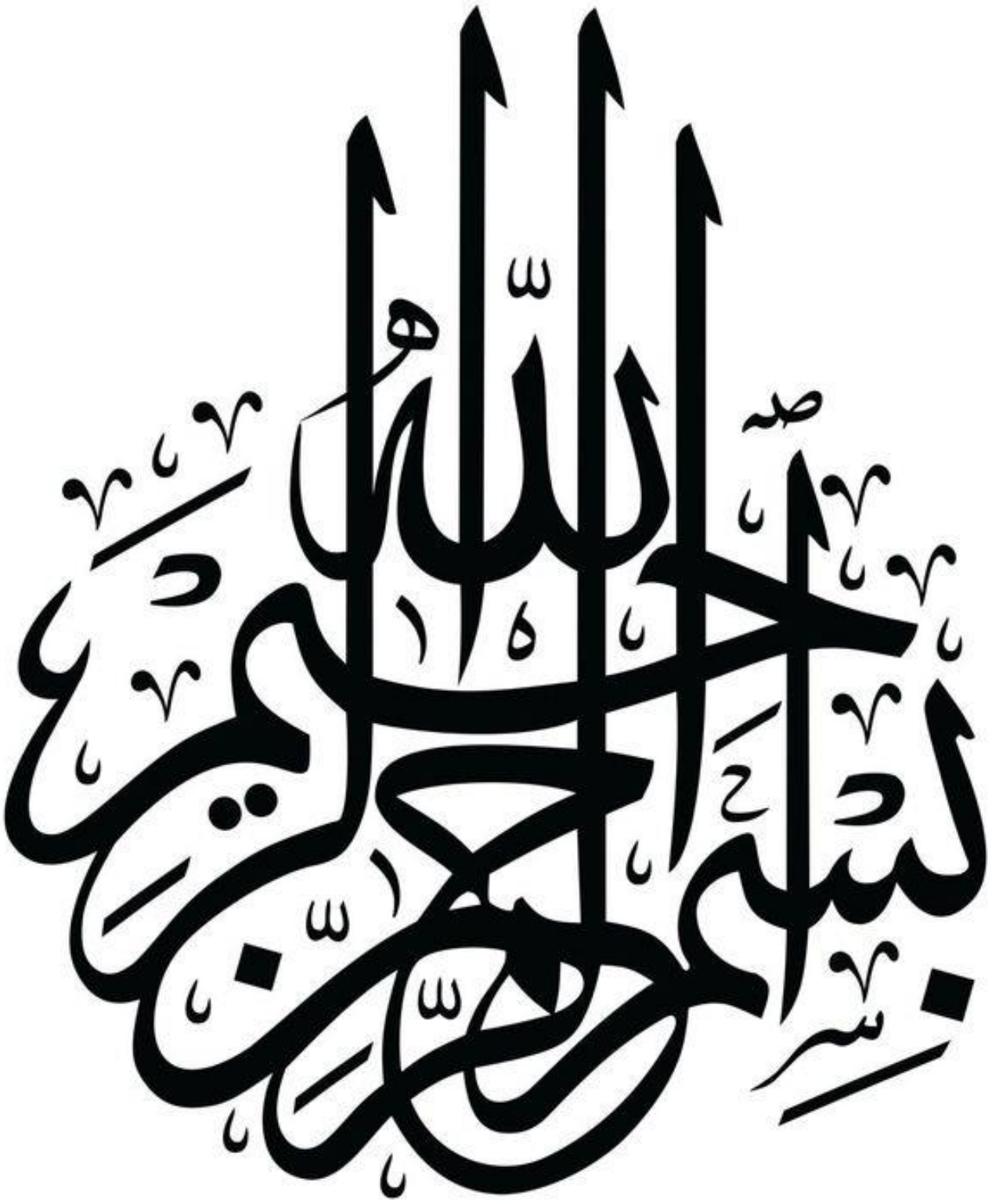
بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إلى الوالدين العزيزين أطال الله في عمرهما ورزقهما الصحة والعافية ورحم الله والد الطالب عمار.

إلى كامل الأهل و الأصحاب

إلى أبناء وطننا أهلنا وعشيرتنا

إلى زملائنا الطلبة وزميلاتنا الطالبات

إلى كل من زودنا بعلمه ونفعنا

إلى كل هؤلاء نهدي هذا البحث

مقدمة

شهد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ظهور عدة دول من أبرزها الدولة الفاطمية (297ه/909م)، التي قامت بالمغرب واستمرت مدة من الزمن واستطاعت بسط سيطرتها على مساحة واسعة من المغرب الإسلامي، وفرض مذهبها الشيعي على أهله بزعامة عبيد الله الشيعي الذي وطّد دعائم الدولة الفاطمية بالمغرب.

كما كان يسود في بلاد المغرب العديد من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية جعلته يكون مسرحا للعديد من الأحداث التاريخية، ومن بين هذه الأحداث التاريخية تأسيس الدولة الصنهاجية الزيرية.

عند وصول المعز بن باديس إلى الحكم وقف في وجه الدولة العبيدية الفاطمية وأعاد بلاد المغرب الإسلامي إلى مذهب أهل السنة، وقضى على المذهب الشيعي وأعلن الولاء للدولة العباسية بالمشرق، الشيئ الذي جعل الفاطميين يقومون بتحريض القبائل الهلالية على تخريب وإحداث الفوضى في بلاد المغرب الاسلامي.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدّراسة التاريخية في معرفة أوضاع بلاد المغرب خلال القرن 5ه/11م، وكذا التعرف على شخصية المعز بن باديس وجهوده في اجتثاث المذهب الشيعي الإسماعيلي وإعادة بعث المذهب السني المالكي.

أسباب اختيار الموضوع:

وجاء إختيارنا للموضوع الذي بين أيدينا إلى الرغبة والاهتمام البالغين بالتاريخ السياسي والمذهبي للمغرب الإسلامي، وبالخصوص الشخصية التاريخية المعز بن باديس الذي عرفت مرحلته محطة هامّة في تاريخ المغرب الإسلامي الذي أنقذ المذهب السني من يد الفاطميين.

الإشكالية:

ومن خلال ما سبق نطرح الإشكالية التالية:

ماهي الجهود التي بذلها المعز بن باديس في سبيل إحياء المذهب السني؟.

وتندرج تحت هذه الإشكالية التساؤلات الجزئية الآتية:

كيف كانت الأوضاع العامة في بلاد المغرب في ق5ه/11م؟.

من هو المعز بن باديس؟ وكيف كانت جهوده في بعث المذهب السني؟.

ماهي أهم النتائج السياسية والمذهبية؟.

المنهج المتبع:

لقد استخدمنا مجموعة من المناهج لدراسة موضوع بحثنا هذا، أهمها المنهج التاريخي الاسترداد باسترداد المادة العلمية من مصادرها ووضعها في قالب علمي كما استخدمنا المنهج التحليلي لإظهار ما يمكن إظهاره من حقائق وجوانب خفية واستشهادات نصية معززة للمتن والهامش, لدعم الآراء أو دعم الاستنتاجات.

الخطـة:

وللإجابة عن التساؤلات المطروحــة اتبعنا الخطـة التالية المتضمنة المقدمة وثلاث فصول وخاتمة،ذكرنا في المقدمة أهمية الموضوع وتفاصيله، وجاء الفصل الأول تحت عنوان: الأوضاع العامة لبلاد المغرب في القرن الخامس/الحادي عشر ميلادي يندرج تحته ثلاث مباحث، الأول بعنوان الأوضاع السياسية، والثاني بعنوان الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، أما الثالث فيحمل عنوان الأوضاع المذهبية، بينما الفصل الثاني يحمل عنوان: المعز بن باديس حايته وبعثه للمذهب السني بالمغرب، وتندرج تحته أربعة مباحث، الأول بعنوان حياته وإمارته، والمبحث الثاني علاقته مع الشيعة الفاطمية، أما الثالث فيتحدث عن قطع العلاقة مع الفاطميين وإحياء المذهب السني، أما المبحث الأخير عنوانه سياسة المعز بن باديس لاعادة بعث المذهب السني.

بينما جاء الفصل الثالث بعنوان النتائج السياسية والنتائج المذهبية، ضمن مبحثين، الأول بعنوان النتائج السياسية، والثاني النتائج المذهبية.

الدراسات السابقة:

لقد تناولت معظم الدارسات السابقة الدولة الصنهاجية وعلاقتها بالدولة الفاطمية وملوكهم بصفة عامة، غير أن موضوع المعز بن باديس حسب علمنا لم يفرد بدراسة خاصة به في المراجع.

أهم المصادر :

اعتمدنا على مجموعة من الكتب منها:

"العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، لعبد الرحمان ابن خلدون (ت 808ه/1046م)، ساعدنا كثيرا في أنحاء بحثنا، وهو موسوعة عظيمة لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه يحتوي على معلومات كثيرة حول بلاد المغرب الإسلامي، وأخبار الملوك والبلدان والشخصيات والقبائل، ولقد أفادنا كثيرا في علاقة المعز مع الفاطميين، لكنه لم يتحدث بالشكل الكبير عن الدولة الصنهاجية.

" البيان المغرب في اخبارالاندلس والمغرب"، لابن عذارى المراكشي (ت بعد 712ه/1321م) والكتاب يكتسي أهمية بالغة إذ لا يمكن لأي مؤرخ الاستغناء عنه

خاصة في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وقد استفدنا منه حول تاريخ الدولة الفاطمية، خاصة وأنه كان سنيّا مناهضا للتشيع، ويبين فضائح العبيديين، وأمدنا بمعلومات قيّمة عن الدولة الصنهاجية الزيرية، غير أنه لم يفصل كثيرا في النزّاع الذي دار بين المعز بن باديس وحمّاد بن بلكين.

" اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء "، للمقريزي (ت 845 هـ / 1441 م) ويعتبر من أشمل المصادر التاريخية التي درست تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب والمشرق، فقد خص كل خليفة منهم بترحمة وافية عن حياته، وقد ساعدنا في معرفة العلاقات بين الدولة الفاطمية في القاهرة والدولة الزيرية في القيروان ، حيث أفادنا بمعلومات مهمة في هذا المجال، وأنه من المصادر القليلة جدا التي أشارت إلى إعادة المعز بن باديس لعلاقاته مع القاهرة بعد الغزو الهلالي، غير أنه أورد الغزو الهلالي بإيجاز.

أهم المراجع:

" الدولة الصنهاجية " للمؤلف الهادي روجي إدريس، يعتبر من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، التي تخص الدولة الصنهاجية، حيث يعتبر كتاب قيم تناول فيه التاريخ السياسي والحضاري للدولة الصنهاجية لكنه ركز كثيرا على الشق الزيري وأغفل أحيانا الدولة الفاطمية.

"تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر" للمؤلف حسن ابراهيم حسن الذي قدم تفاصيل مهمة عن الدول الفاطمية ومجالها الحضاري و الثقافي وتطرقه لسياسية الفاطميين غير أنه لم يتطرق لفترة المعز بن باديس في المغرب.

" الدولة الفاطمية "، لعلي محمد الصّلابي الذي يعتبر من أهم المراجع التي تطرقت لحياة المعز بن باديس وأحوال الدولة الفاطمية والصنهاجية، ألا أن فيهبعض الخلط للأحداث بين أراء المؤرخين.

" دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية"، للعربي إسماعيل استفدنا من هذا المجال في النشاط الاقتصادي والعمران، إلا أنه لم يتطرق الى الجانب الاجتماعي ماعدا إشارات طفيفة.

الصعوبات:

تناولت المصادر والمراجع في أغلبها الموضوع بمادة علمية يسيرة مما استوجب الاطلاع على الكثيرة منها في سبيل جمع هذه المادة، كما أن الموضوع متشعب إذ تناول الأوضاع السابقة لعهد المعز ودولته وعلاقته بالفاطميين.

كلمة شكر:

ونتوجه بالشكر الخالص للأستاذ **"محمد الصديق محمودي"** الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه، بالإضافة إلى تسهيله لطريقة التواصل معنا، كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث كما نتقدم بالشكر لكل أستاذ علّمنا حرفا في مشوارنا الدراسي.

الفصـــل الأول

الأوضـاع العامـة في المغرب في القـرن 5 ه/ 11م

- **الأوضاع السياسية**
- **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**
- **الأوضاع المذهبية**

شهد المغرب الإسلامي العديد من الأوضاع خلال القرن 5ه/11م السياسية والاقتصادية والاجتماعية و المذهبية أدّت إلى ظهور الدّولة الفاطمية ذات المذهب الشّيعي التي دامت حوالي القرن والنصف، وكان المغرب الإسلامي يزخر بثروات طبيعية وتنوعت فيه مختلف الأعراق والطبقات الاجتماعية وكان موطنا لاستقطاب العديد من المذاهب الدينية، فما هي الأوضاع السياسية والاقتصادية التي كانت سائدة في المغرب؟، وكيف كانت الأوضاع الاجتماعية والمذهبية فيه؟.

المبحث الأوّل:الأوضاع السّياسيّة

أوّلا: علاقة الفاطميّين بقبائل المغرب

أ - بقبيلة كُتامة:

إنّ قبيلة كُتامة هي عصب الدّولة الفاطميّة وأساس ظهورها، حيث تعاون دعاتها على نشر المذهب الإسماعيلي بكل همّة ونشاط[1]منذ أن اختار عبد الله الشّيعي منطقة إيكجان[2]مقرّا لنشر الدّعوة بعد أن هيّأ الأسباب واقنع الكُتاميّين، وتظاهر بالزّهد والورع فأصبحوا يعظّمونه.[3] وادّعى أوّل الأمر أنه معلّم قرآن لكن سرعان ما صرّح بحقيقته وقال: «أنا لست معلّم قرآن وإنّما الأمر ما أخبرك إنّما نحن أنصار أهل البيت. وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كُتامة أنّكم أنصارنا والمقيمون لدولتنا، إنّ الله يُظهر بكم دينه ويُعزّه بكم أهل البيت، وأنّه سيكون إمام منكم انتم أنصاره، وأنّ الله سيفتح بكم الدّنيا كلّها ويكون لكم الأجر مضاعفا، فيجتمع لكم أجر الدّنيا والآخرة».

فقال له الشيخ: «أنا أرغب فيما رغّبتني إليه وأبذل فيه مهجتي ومالي أنا ومن اتّبعني وأنا أطوَع إليك من يدك فمُر كما شئت أمتثله». فقال الشّيعي:« ادع الخاصّة من بني عمّك الأقرب فالأقرب». فبدأ الشّيخ يبثّ دعوته في أقاربه ومن يختصّ به،[4] ونجح أبو عبد الله الشّيعي في الأعداد لتحقيق مشروعه بعد أن اطمأنّ لكُتامة ووصل إلى أفكارهم لعدّة أسباب منها:

- قوّة شخصية الدّاعية، وتسلّط أمراء الأغالبة على الرعيّة، وعندما سمع بذلك الخليفة العبّاسي المعتضد أرسل إلى إبراهيم بن الأغلب يعنّفه على سوء معاملته وانتشار الشّيعة في المنطقة، فردّ المظالم وسرّح المسجونين وتصدّق بالأموال وأمر بالجهاد[5].ومن

---

[1]- موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطميّةمن التأسيس إلىق 5ه، الشركة الوطنيّة للنّشر و التوزيع،الجزائر، 1979، ص 434.

[2] - إيكجان: منطقة تقع شرق بني عزيز حوالي 2 كلم. (محمّد الصّالح مرمول: السّياسة الدّاخلية للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983، ص40).

[3] - القاضي نعمان: افتتاح الدعوة ، تح فرحات دشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986، ص 35.

[4] - ابن عذارى: البيان المغرب في اخبارالاندلسو المغرب، تح، كولان، دار الثقافة، بيروت، 1983 المصدر، ج1، ص 127.

[5] - أحمد بن أبي الضيّاف: إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدّار التّونسية للنشر، تونس 1976، ج1، ص 147.

الأسبابأنّ أبو عبد الله أظهر العدل والإنصاف،[1] وأعظم سبب جهل أصحاب كُتامة بحقيقة التّوحيد، وذلك بشهادة الطّبيب ابن إسحاق الإسرائيلي طبيب أبي عبد الله الشّيعي، قال لهم: « أنتم بقر وليس معكم من الإنسانيّة إلاّ الاسم »[2].

وبعد قيام الدّولة الفاطميّة استقرّ عُبَيْد الله الشّيعي برقّادة يعتمد على رجال كُتامة في تسيير شؤون الدّولة الجديدة،[3] لكن ظهر تمرّد كُتامي سنة 297هـ/ 909م واستطاع عُبَيْد الله التّغلب عليه،[4] واستغلّ الكُتاميّون انشغال المنصور بقتال الخوارجوقاموا بثورة سنة 334هـ/ 945 م وادّعى صاحبها الألوهيّة فتمكّن من المنصور وأمر بقتله.[5] إنّ كلّ هذه المحاولات في مجملها كانت تهدف فيما يبدو إلى استعادة النّفوذ الّذي عوّدهم عليه أبو عبد الله الشّيعي، وقام بها الّذين لهم مكانة عند الفاطميّين، فلم يكتب لها النجاح لأنّها جهوية وقليلة التّنظيم، وزعمائها ضعاف الشّخصية فلم يتمكّنوا من استقطاب الكُتاميّين الأمر الّذي جعل الفاطميّين يُخمدونها بواسطة الكُتاميّين الموالين لهم، إلاّ أنّ العلاقة بدأت تسوء بين الفاطميّين والكُتاميّين، إلاّ أنّ هؤلاء الفاطميّين نجحوا في المحافظة على علاقاتهم لكي يستغلّوا إمكانيّاتهم القتالية في الحرب ضدّ خصومهم، وبذلك لعب الكُتاميّون دورا أساسيا في أحداث تاريخ الفاطميّين بالمغرب في المجال العسكري بالدّرجة الأولى ويعود إليهم الفضل في الانتصارات الفاطميّة في بلاد المغرب وفي السّيطرة لاحقا على مصر وبلاد الشّام[6].

ب- علاقة الفاطميّين بقبيلة زناتة:

تعتبر قبيلة زناتة من أكبر القبائل البربرية في بلاد المغرب ولم يتمكّن الفاطميّين من وضع حدّ للمشاكل الّتي كانت تثيرها قبيلة زناتة بالمغرب الأوسط والأقصى، وسبّب هذا الاضطراب بين الطّرفين ما نقله ابن خلدون أنه كانت لمغراوةالزّناتية ولاية لعثمان بن عفّان رضي الله عنه،[7] ومعروف عداوة الشّيعة لهذا الصّحابي الجليل. إضافة إلى أنّ الفاطميّين قضوا على الدّولة الرّستمية، ولاحقت الخوارج الإباضيّة الّذين ينتمون أغلبهم إلى زناتة، والأهمّ من ذلك كلّه أنّ الفاطميّين تولّوا الصنهاجيين الّذين كانوا أعداء مع الزّناتيّين في بلاد المغرب.

---

[1] - ابن عذارى: المصدر السّابق، ج1، ص 141.

[2] - ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح د/ نزار رضا دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 480.

[3] - موسى لقبال: دوركُتامة في تاريخ الدّولة الفاطميّة من التأسيس للقرن الخامس، الشركة الوطنية للتوزع و النشر، الجائر، 1979، ص434.

[4] - ابن عذارى:المصدر السّابق، ج1، ص160.

[5] - القاضي النّعمان: المصدر السّابق، ص 324.

[6] - محمد الصالح مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 166.

[7] - ابن خلدون: العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج6، 1983، ص 311.

الزّناتيّون كانوا أحد أعداء الشّيعة الإسماعيلية قبل قيام الدّولة الفاطميّة بدليل ما ذكر القاضي النّعمان أنّهم اعترضوا في تيهرت الجماعة الّتي أرسلها أبو عبد الله الشّيعي لتخليص عُبَيْد الله المهدي الّذي كان مسجونا في سجلماسة[1].

وتعتبر ثورة أبو خزر سنة 359 ه/968م أكبر وأخطر الثورات الزّناتيّة ضدّ الفاطميّين، حيث اجتمع جموع كبيرة من البربر، وهذه الحروب الّتي شنّها الزّناتيّون على الفاطميّين كانت في مجملها نتيجة عاملين أحدهما صراع الخوارج الإباضيّين مع الفاطميّين وذلك على اعتبار أنّ الزّناتيّين على المذهب الإباضي، فمعظم حروبهم كانت بدافع الانتقام لما ناله الخوارج الإباضيّين من القتل والتّشريد على أيدي الفاطميّين

والّذي تركزّ خاصّة في المغرب الأوسط والأقصى، أما الأمويّين فقد شجّعوا الزّناتيّين وحرّضوهم على الوقوف في وجه الفاطميّين وأمدّوهم بالعون المالي والأدبي[2].

ثانيا: الصّراع بين زناتة وصنهاجة:

مع تولّي باديس بن المنصور شؤون الحكم تجدّد الصّراع بين صنهاجة وزناتة في سنة 389 ه/998م، وصلت رسالة من يطوفْت بن يوسف بن زيري إلى أخيه باديس يعلمه أنّ زيري بن عطيّة الزّناتي قد نزل عليه بتيهرت وسأله أن يمدّه بالعساكر، فأمر باديس وزيره محمد بن أبي العرب بالخروج حتى وصلا إلي تيهرت فالتقى بيطوفت في 389 ه/ 999 م، واقتتلوا قتالا شديدا مع زيري بن عطيّة فلمّا اشتدّ البأس ولّوا منهزمين وتبعهم النّاس فكانت الهزيمة على الجميع[3].

واستولّى الزّيري على كل ذلك وعامل الأسرى معاملة حسنة ولمّا وصل مدينة تيهرت أحسن إلى أهلها ووعدهم خيرًا، ثمّ قام بإطلاق سراح الأسرى فمضوا إلى أن وصلوا إلى مدينة أشير[4]الّتي زحف إليها بعد ذلك وحاصرها، وكان يعمد إلى إثارة الصّنهاجيّين فقام بنبش قبورهم لمّا رأى منهم قعودا عن القتال فلا يصبرون على ذلك ويخرجون لمنعه[5]وعندما وصلت هذه الأخبار إلى المنصورية أخذ باديس بتجهيز جيش لحرب زناتة، فلمّا قصد مدينة طَبْنَة فحاصرها، ولمّا علم زيري بن عطيّة بأنّ باديس قد اقترب منه رحل إلى تيهرت فتبعه باديس، فسار الزّيري إلى الغرب ولمّا علم باديس بن منصور برحيله استعمل عمّه يطوفت على أشير، وأعطاه أموالا وعددًا من الجيش، وراح في طلب فلفل بن سعيد وأرسل إليه الجيش فهزمهم فلفل وراح يطلب القيروان، فلقيه باديس

---

[1] - القاضي النّعمان: المصدر السابق، ص 127.

[2] - محمد الصالح مرمول: المرجع السّابق، ص 181.

[3] - النّويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، تح ع المجيد تريجي،دار الكتب العلمية،ط1، 2004، ج24، ص 103.

[4] - ابن عذارى: المصدر السّابق، ج1، ص 250.

[5] - مجهول: مفاخر البربر، تح محمّد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة،الوكالةالاسبانية للتّعاون الدّولي،مدريد 1960، ص 170.

بن منصور في 389 هـ/ 999م، طال القتال وانتصر باديس بن منصور وفرح أهل القيروان الّذين كانوا خائفين من فلفل بن سعيد[1] وقتل حوالي سبعة آلاف من زناتة.

وفي سنة390هـ /1000م دخل باديس إلى المغرب يطلب فلفل بن سعيد فهرب وتفرّقت جماعته، وفي سنة391هـ/ 1001 م توفّي زيري بن عطيّة الزّناتي وهو محاصر لأشير.[2]

أمّا فلفل بن سعيد فقد انتقل إلى طرابلس الّتي ستكون مسرحا لصراع زناتي صنهاجي ويكون للدّولة الفاطميّة دور كبير فيه، مكث فيها فلفل بن سعيد إلى سنة 400هـ/1009م فمرض ثمّ توفّي فخلفه أخوه ورو بن سعيد فأطاعته زناتة واستقام أمره فنهض باديس إلى قتاله وسار إلى طرابلس، فلمّا بلغهم خبره أنّه سائر إليهم فارقوها ومكث فيه باديس بن منصور فأرسل إليه ورو بن سعيد يطلب منه الأمان ويدخل في طاعته ويجعلهم عمّالا كسائر عمّاله فأمّنهم[3].

ثمّ أنّ خزروت بن سعيد خالف أخاه ورو وفارقه وجاء إلى باديس ودخل في طاعته فأكرمه وأحسن إليه، ثمّ عاد ورو إلى الخلاف ثانية والخروج عن طاعة باديس بن منصور. وفي سنة 406هـ/1015م مات ورو بن سعيد واختلفت كلمة زناتة وهكذا ظلّ باديس طيلة عهده يعاني من توالي الفتن الزّناتيّة، سواء داخل الأراضي الواقعة تحت حكمه في إفريقيّة وبلاد المغرب أو تلك الواقعة خارج سلطته في المغرب الأقصى[4].

-إنّ الانقسام الّذي حدث داخل الدّولة الزّيرية في عهد باديس بن منصور أسهم إلى حدّ مّا في عدم ضبط الأمور الدّاخلية وتوسيع نفوذ الدّولة وتوطيد أركانها.

- لقد استغلّ حمّاد فرصة وفاة باديس بن منصور(إبن أخيه) فقام بالحرب من جديد وتوسّع طموحه لأنّ صنهاجة أصبحت بلا زعامة، ولم يستطع من استرجاع أشير، ولو استرجعها لالتفّت حولهصنهاجة وتلكاتة ويستقرّ له الأمر في المغرب الأوسط[5].

فبعد أن اضطربت الأمور قليلا قبل توليت المعزّ وأثناء إقامة كرامت بن منصور بمدينة أشير ومعه تلكاتة وغيرهم من قبائل صنهاجة فما شعر إلاّ وقد وافاه حمّاد في ألف وخمسمائة رجل، فبرز إليه كرامتفي سبعة آلاف، فلمّا نشبت الحرب عمد الّتلكاتيّون إلى بيت المال فنهبوه ورجعوا إلى أدراجهم فكانت الهزيمة على كرامت الّذي دخل مدينة أشير وحمّاد في أثره،[6] ولقد طلب أعيان المدينة وقاضيها من كرامت المقام بها ومنع حمّاد عنها،[7] وهنا تبيّن أنّ كرامت لم يكن يرغب في المكوث في أشير فعلم حمّاد بذلك فاستغلّ الفرصة، وأرسل إلى كرامت ليفاوضه حول ضمان انسحابه سالمًا من المدينة،

---

[1] - ابن الأثير:الكامل في التاريخ، تح، عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج8، 1995،ص8.

[2] - ابن الأثير: المصدر نفسه، ج8، ص 25.

[3] - ابن الأثير: المصدر نفسه، ج8، ص8.

[4] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 87.

[5] - إسماعيل العربي: دولة بني حمّاد ملوك القلعة زبجاية، الشّركة الجزائريّة للنّشر و التوزيع،الجزائر،1980، ص107.

[6] - النّويري:المصدر السّابق،ج 24، ص113.

[7] - ابن الأثير:المصدر السّابق، ج8، ص88.

وانتهى الأمر باتّفاق الرّجلين على أن يمنح حمّاد بن بلكين لكرامت بن منصور مالا وقدره ثلاث آلاف دينار، ويرسل معه من يشيّعه من أصحابه وبذلك استطاع حمّاد بن بلكين أن يدخل مدينة أشير ويقتل من أهلها الكثير[1].

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة

أوّلا: الأوضاع الاقتصاديّة:

أ- مصادر بيت المال: أهم مصدر لبيت المال في العهد الفاطمي ببلاد المغرب:
***جباية الضرائب:**فكانت المراكز(المراصد) تقام على أبواب المدن لاستخلاص الضرائب، وكانت جوازات المرور تسلّم للتجّار بعد أن تضبط الكميّة والبضائع في سجلات ومناشير رسمية حيث أخذت العشر من المسلمين وغير المسلمين، وابتكرت المُكوس وما يتعلّق بالأسواق وبالخبّازين والجزّارين وعامّة الدكّاكين، وحقوق المرور بالمهديّة بالنّسبة للحجاج وأغرم المرور بالأبواب.
وكان الخليفة الفاطمي هو المسؤول الأوّل عن بيت المال، ويمثّله الولاّة في مختلف الجهات ويساعدهم العمّال، وتتشكل الإدارة المالية من بيت المال المركزي ومن عدّة دواوين كديوان الكشف، وديوان العطاء وديوان الخراج والجزية.
وكانت تنفق هذه الموارد على الجند والموظّفين والإنجازات العمرانية، والهدايا والصّلات الّتي كان الحكام يكسبون بها الولاء والأنصار من الرّعيّة.
ويرجع النظام التعسّفي في جمع الضّرائب في العهد الفاطمي، لتنوّع الموارد الجبائيّة وتوسيعها لتشمل التّجارة الدّاخلية والخارجية والبضائع ثمّ أصبحت تشمل الجميع بما فيها رجال الدّولة[2].
كما عملت الدّولة الإسماعيلية على جمع أكبر عدد من المال للسّيطرة على العالم الإسلامي وذلك بتطبيق سياسة مالية تمثّلت في مصادرة الأراضي وتوزيعها على أنصارهم بقوّة السّيف، وفرضت الضّرائب والجباية، كما احتكرت التّجارة الدّاخلية والخارجية وذلك بتنظيم الأسواق ومراقبة السّلع الواردة والصّادرة وفرض عليها ضرائب باهظة، بالإضافة إلى الحملات العسكرية الّتي طالت القبائل بالمغرب الأوسط

[1] - المصدر السابق، ج8، ص88.
[2] - ابراهيم جدلة: مدخل إلى السّياسة المالية ببلاد المغرب من ق 1ه إلى ق 5 ه، مجمع الأطرش للنشر والتوزيع، تونس،2019، ص ص 122-126.

والأقصى قصد السّيطرة على تجّارة الذّهب والرّقيق، وكذا السّلب والنّهب والبحث عن الغنائم[1].

ب- الصناعة: لقد أكدّ المؤرّخون التطوّر الكبير الّذي وصلت إليه إفريقيّة من تقدم وازدهار في عهد الأمراء الصنهاجيّين لا سيما عهد المعزّ بن باديس،ولقد تطوّرت الصّناعة الأهلية في معظم الحواضر فأنتجت بضائع فاخرة كالزّرابي الرّفيعة والمنسوجات الصّوفية والحريريّة والقطنيّة والأواني الزّجاجية،الّتي كانت تسرّ النّاظرين كما أنّ دخل الدّولة من مكوس التّجارة بلغ في عهد المعزّ بن باديس أربعمائة ألف دينار تقريبا، وبذلك تطوّرت ونمت الثّروة العمومية وساد الغنى وانتشرت الرّفاهيّة عند السكّان[2].

ج - الزّراعة: قد تطورت الفلاحة في بلاد المغرب من زراعة وغراسة إلى مرتبة عليا بفضل الرّي الكبير الّذي أحيا أراضي كانت قاحلةً، فأخرجت الأرض من خيراتها حتى صارت إفريقيّة مخزون زراعي للمشرق والمغرب،كما يمتاز المغرب الإسلامي بشساعة أراضيه وخصوبتها بالإضافة إلى العامل الإستراتيجي والمناخ الملائم للزّراعة وتطوّرها نأخذ على سبيل المثال مدينة بجاية كانت تحققّ رخاء اقتصادي ومصدرا للإنتاج الزّراعي، حيث كان لها مزارع لمختلف المحاصيل مثل الشّعير والتّين ومختلف الفواكه[3] ولقد لخّص القلقشندي النّباتات والمحاصيل الموجودة في حاضرة بجاية، فذكر أنّ بجاية «الحبوب والقمح والشّعير والفول والعدس والحمّص والذّرة، ومن الفواكه: العنب والّتين والرّمان، السّفرجل والتّفاح والعنب والزّعرور والخوخ والمشمش...ومن الزّهور الرّيحان والياسمين والنّرجس»،[4] كما يوجد عسل النّحل والشّمع الكثير، وفي مدينة لمسيلة مزارع ممتدة لزراعة القطن الّذي كان يصدّر إلى القيروان كما عرفت مدينة نقاوس بالجوز الّذي كانت تصدّره إلى المشرق وكان موجود في بجاية وجيجل[5].
وهذا كلّه بسبب وفرة المياه حيث يذكر البكري ذلك مؤكّدا أنّ بوفرة المياه جعل هذه الزّراعة تنمو وتكثر، وهذا ما سأهم في تطوّر ونمو بعض النّباتات النّسيجية الّتي كانت تصدّر إلى المشرق وغيرها[6].
أما النّباتات البحرية فنجد المرجان حيث كان يصدّر إلى مصر عن طريق مرسى الخرز بالإضافة إلى البزّ الّذي يستخرج من البحر ويستخدم في نسيج القماش المعروف باسم

---

[1] - خلفات كمال: مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الأمير ع القادر للعلوم الإسلامية، ص 25.
[2] - حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، الدّار التّونسية للنشر، تونس، ط4، 1968، ص من 109-110.
[3] - سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الفاطميّون وبني الزّيري، ج3، منشأة المعارف، القاهرة، 1990
[4] - القلقشندي: صبح الأغشى، ج13، المطيعة الأميرية، القاهرة،1918 ،ص، ص 112-113.
[5] - هادي روجي إدريس: الدّولة الصنهاجيّة، تر: حمّادي الساحلي، ج2، دار المغرب الإسلامي، باريس، 1962،ص،ص 245،247.
[6] - البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د، ت.

المخير وهو نسيج متميّز من الطّراز الرّفيع الّذي كان يصنع في بجاية ويصدّر إلى مصر.

-أما بالنّسبة للثّروة الحيوانية فقد كانت الأسماك ببلاد المغرب تصدّر بشكل كبير حيث تصطاد من سواحل بونة وغيرها من السّواحل المغربية[1].

-أمّا الغابات فكانت مصدرا للثّروة الخشبيّة والّتي تستعمل خاصّة في صناعة السّفن، والمراكب وإنتاج القطران، بالإضافة إلى غابات من الزّيتون الّتي كانت مصدرا للزّيت والّتي خرّب العديد منها أثناء غزو بني هلال[2].

- بالإضافة إلى زراعة القمح كانت تشغل الجزء الأكبر من الأراضي الخصبة كما أولت الدّولة الفاطميّة اهتماما كبيرا لإنتاج أنواع كثيرة ومختلفة من الفواكه ومن أهمّها الكروم وهذا يدلّ على اهتمام الدّولة الفاطميّة بالجانب الزّراعي، حيث أنشأت إدارة خاصّة تشرف على أمور الزّراعة[3].

وكانت بلاد المغرب تصدّر المنتوجات الفلاحيّة إلى أوروبّا وجزيرة العرب عن طريق مصر، ومن بين السّلع التّوابل والفلفل حيث كانت أسواقه رائجة في هذا المجال، كما أنّ زراعة نبات الكتّان (النّبات المصنّع) من أهمّ المنتوجات الزّراعية بتنس الّتي كانت منتشرة بشكل كبير[4].

ويمكن القول أنّ المغرب كان مكتفيا ذاتيّا من ناحيّة المنتجات الزّراعيّة وذلك راجع إلى الظّروف المناخيّة والجغرافيّة المناسبة، وخاصّة الموارد المائيّة. كما شجّع الفاطميّون التجّار المغاربة بعد رحيلهم إلى مصر بالقدوم إليها والإستفادة من خبرتهم التّجارية.

وبذلك فإنّ علاقتهما التّجارية ازدهرت بين مصر والمغرب الإسلامي خاصّة في عهد الدّولة الحمّادية[5].

د - التّجارة: عرف المغرب خلال القرن 5 ه/11م تطوّرا اقتصاديّا وتجّاريّا كبيرا الّذي انعكس بشكل جليّ على اغلب الحواضر المغربية منها مدينة أشير الّتي تمتّعت بمركز يتوسّط المغرب الأوسط في جبال التّيطري وكلّ ذلك بفضل المسالك والدّروب والطّرق التّجارية الّتي تتّصل بها من عدّة جهات، ممّا سأهمّ في تطوّرها اقتصاديّا وحضاريّا منذ تأسيسها سنة 324ه/936م وظهر كذلك بشكل جليّ في بداية القرن 5ه/11م وكان ذلك كنتيجة حتميّة للتّواصل وانتقال النّاس بمختلف شرائحهم ومقاماتهم من فقهاء وتجّار... الخ، واتّصالهم بعدّة مدن منها المديّة وملیانة وتنس وسوق حمزة وبني مزغنّة ومرسى الحاج بالإضافة إلى اتّصالها بقلعة بني حمّاد وجنوب الصحراء والسودان الأمر الّذي

---

[1] - هادي روجي إدريس: المرجع السّابق، ص249.

[2] - المرجع نفسه: ص 240-248.

[3] - محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدّولة الفاطميّة، دار الفكر العربي، النصر، د، ت، ص- ص 136-138.

[4] - حسن خضيري احمد: المرجع السّابق ص، ص، 117-121.

[5] - المرجع نفسه، ص-ص 115-122.

جعلها مركزا تجاريّا ونقطة اتّصال القوافل التّجارية وتقاطع مختلف المسالك والطّرق التّجارية بين مختلف الجهات ممّا جعلها سوقا هامة تباع فيه مختلف السّلع،[1] وكان لبعث المعز لدين الله الفاطمي جيشه إلى مصر أثر كبير في فتح نوافذ العلاقات التّجارية مع المشرق العربي ومصر، وتوافد عدد كبير من البربر إلى الإسكندرية وما حولها، وكذلك تنظيم الطّرق البريّة المؤدّية إلى مصر من أجل تسهيل العمليات التّجارية[2].

كما لجأ الفاطميّون إلى نشر الطّمأنينة في أرجاء المغرب لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الانتعاش الاقتصادي لا يكون إلاّ بانتشار السّلم، ومن أجل تحقيق أغراضهم، فكانت عمليّة التّجارة بين المغرب ومصر ليس عن طريق البرّ فقط بل كانت كذلك عن طريق البحر لأنّه كان أأمن من طريق البرّ خاصّة تجّارة المرجان،[3] ولقد نشطت التّجارة في مختلف مدن المغرب الأوسط داخليا بين مدن بجاية، مزغنّة، وتنس...الخ، وخارجيّا خاصّة مع مصر حيث كان البحر هو جوهر العمليّة التّجارية[4].

واستمرّت فيما بعد بين الفاطميّين والحمّاديّين المواصلات التّجارية البحريّة لتنتقل إلى اسبانيا بعد تحوّل الطّرق التّجاريّة الدوليّة الواصلة بين الهند والصّين والعراق إلى مصر والبحر الأحمر ثمّ يمرّ بسلسلة من الموانئ أهمّها: طريق طرابلس وقابس صفاقس، المهديّة ثمّ إلى بونة، بجاية – مرسى عظيم – إلى الجزائر بني مزغنّة ثمّ إلى تنس ثمّوهران إلى سبتة وطنجة، ويذكر أنّ هذا الطّريق البحري كانت به حصون متقاربة فإذا ظهر عدوّ نوّر كلّ حصن للحصن الّذي يليه[5].

بالإضافة إلى الطّريق الساحلي الممتد من الإسكندرية يمر بالحمام ثمّ الرّمادة ومنها إلى برقة ويستمرّ حتى طرابلس ثمّ سفاقس إلى القيروان إلى تيهرت وهو أكثر أمانا للتجّار.[6]

وهذا يدلّ على وجود علاقات تجّارية للدّولة الفاطميّة بالمغرب إلاّ أنّ الفاطميّين كانوا لا يثقون في أهل المغرب لانتشار المذهب السنّي، ولاعترافهم بالدّولة العبّاسية، حيث أنّهم ضيّقوا الخناق حتى على الحجّاج فمن أراد الحجّ إلى الأراضي المقدّسة بعملة غير عملاتهم عذّب أو سجن، لكنّ هذه السّياسة لم تدم طويلا برحيلهم إلى مصر[7].

ه ـ سك العملة:

---

[1] ـ مجلة حوليات: دور المسالك التّجارية في النمو الاقتصادي للمغرب الأوسط في ق 5ه،جامعة الجزائر2،سنة 2023، ص ص 35، 36.

[2] ـ عبد الحليم عويس: دولة بني حمّاد، صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة،1991.

[3] ـ بورويبة رشيد: الدّولة الحمّادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

[4] ـ عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، ط 1، دار ريحانة، الجزائر، 2002، ص 62.

[5] ـ حسن خضيري أحمد: علاقات الفاطميّين في مصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة 2008، ص- ص 99- 101.

[6] ـ حسن خضيري أحمد: المرجع السابق، ص 95.

[7] ـ كريمان كحلان: العلاقات الخارجية للدّولة الحمّادية، مذكرة ماجستير في التّاريخ الوسيط، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2014، 2015، ص 85.

1- العملة الفاطمية:عندما أسّس الفاطميّون دولتهم شرعوا في ضرب السكّة سنة 296ه/908م،[1] واستمرّت النقود الفاطميّة تضرب في القيروان والمهديّة والمنصورية بأسماء الخلفاء العُبيديّين، وكانت عبارة عن قطع مستديرة تفصل بين نصوصها حلقات معدنيّة بارزة قطرها يتراوح بين 20 و22 ملم أمّا أوزانها تتراوح من 3.62 غرام و4.36 غرام[2].

ومن الدّنانير الّتي كانت متداولة تلك الّتي كانت تحمل اسم المعزّ لدين الله الفاطمي الّتي تشير في نصوصها إلى المعتقد الشّيعي، من تفضيل علي ابن أبي طالب وتخصيصه بالوصاية النّبوية المحمّدية وهذا الأمر لم يصرح به أسلافه من العُبيديّين في عملاتهم، وهذا يدلّ انه لم يبقي من يخشاه من معارضيه.[3]فالدّينار المضروب بالمنصورية باسم المعزّ لدين الله سنة 462ه/972م يحمل على الوجه ثلاثة نصوص هامشيّة تفصلها حلقات معدنيّة من خطوط بارزة تقرا كما يلي: الهامش الخارجي: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كلّه ولوكره المشركون.

الهامش الأوسط: لا إله إلاّ الله.

الهامش الدّاخلي: وعليّ أفضل الوصيّين ووزير خير المرسلين.

بينما الظّهر تتألّف نصوصه من ثلاث هوامش على نفس النّسق:

الهامش الخارجي: بسم الله ضرب هذا الدّينار بالمنصورية سنة اثنتان وستّون وثلاثمائة.

الهامش الأوسط: دعا الأمام معد لتوحيد الإله الصّمد.

الهامش الدّاخلي: المعزّ لدين الله أمير المؤمنين[4].

وهكذا تتابع المظهر العام للدّينار الفاطمي في الأمارات الزّيرية في عهد العزيز والحكّام.والظّاهر كمظهر من مظاهر التّبعيّة السّياسيّة والمذهبيّة لمصر نلاحظ عليها خلوّها من الطّابع المغربي المحلّي فيما عدى مكان ضربها، وهذا يدلّ على أنّ الشّخصية الزّيرية ومفهوم الملك لم يتبلور بعد على السكّة الّتي تعدّ من مظاهر الملك والسّلطان.والى غاية سنة 438ه/ 1046م لا تزال السكّة الشّيعية تضرب في المهديّة والمنصوريّة باسم الخليفة المستنصر، وفي سنة 439ه/1049م إلى سنة 440ه/1050م حملت الدّنانير اسم صبرة بدل المنصوريّة الّتي بناها الخليفة الفاطمي المنصور[5].

---

[1] - ابن عذارى: المصدر السّابق، ج1، ص 279.

[2] - صالح بن قرية: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حمّاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ص 475.

[3] - حسن حسني عبد الوهاب: ورقات من الحضارة العربية بإفريقيّة التونسية، مكتبة المنار، تونس 1964، ج 1 ص 443.

[4] - صالح بن قرية: المرجع السّابق، ص 476.

[5] - صالح بن قرية:المرجع السّابق، ص 482.

2-العملةالزّيريّة الجديدة:

بعد أن أكمل المعزّ بن باديس جميع مظاهر الانفصال السّياسي عن العُبيديّين وإعلانه الدخول تحت راية العبّاسيين سنة 435ه/1043م، كان لزاما عليه أن يستعمل هذا الانفصال بأن يلغي أسماء خلفاء بني عُبَيْد من العملة المتداولة، وهذا الأمر مهم لأنها رموز من رموز الدّولة.

وفي سنة 441ه/1050م من شهر جانفي أمر المعزّ بن باديس بتبديل السكّة فنقش عليها الأزواح على الوجه الواحد « وَمَن يَّبْتَغِ غَيْرَ اَلإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»،[1] وفي الوجه الثّاني: لا اله إلاّ الله محمد رسول الله. وضرب منها دنانير كثيرة، وأمر النّاس بقطع سكّتهم وزوال أسمائهم من جميع الدّنانير،[2] ونادى مناد بأمر من السّلطان أنّه من تصرّف بمال عليه اسم بني عُبَيْد نالته العقوبة الشّديدةّ وأشار ابن عذارى إلى الدّينار التجّاري الّذي ضرب سنة 441ه/1050م[3].

أمّا الخصائص العامّة للسكّة الزّيرية فهي متعددة أهمّها نقش عليها الآيةالكريمة:«وَمَن يَّبْتَغِ غَيْرَ اَلإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»،[4]

واستبدلت عبارة الهامش من الوجه المألوف في السكّة الفاطميّة بالآية الكريمة:

« يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ اِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اَللهِ»[5].

وبعض الدّنانير نقشت على هامش الوجه هذه الآية: « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي اَلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ اَلذِّكْرِ أَنَّ اَلاَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ اَلصَّالِحُونَ»[6]. وممّا يميّز دينار المعزّ بن باديس لم يُذكر لفظ الدّينار في هامش كتابة الظّهر، وذكر فيها مكان وتاريخ الضّرب، كما لم يذكر اسم المعزّ على السكّة، وذلك خوفا على الحجاج الّذين يمرّون بالفاطميّين، كما أبقى الزّيريّون ضرب الدّنانير بالخطّ الكوفي الّذي كان سائدا في نقود الأغالبة والعبّاسيين، ورفض كل ما له صلة بالشّيعة الإسماعيلية كالخطّ المورق أو المزهر الّذي كان يمثّل المذهب الإسماعيلي، بينما الكوفي يمثّل المذهب السّنّي[7].

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية:

أ – الأعراق:

1 - البربر

يرجع علماء الأنساب القبائل البربرية إلى أصلين كبيرين هما البرانس والبتر وكلمن يتفرع إلى شعب تنقسم إلى بطون متعددة.

---

[1] - سورة آل عمران: الآية 85.
[2] - ابن عذارى: البيان، ج 1، ص 278.
[3] - المصدرنفسه: ج 1، 278.
[4] - سورة آل عمران: الآية 85.
[5] - سورة الأحزاب: الآيتان 45-46.
[6] - سورة الأنبياء: الآية 105.
[7] - صالح بن قرية: المسكوكات المغربية، ص 486.

فشعوب برانس يجمعهم سبعة أجدام هي يزداجةو مصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة و أوريغة ويضيف بعض العلماء إلى هؤلاء لمطة وهكورةوجزولة، أما البتر فينحصرون في أجدمة أربعة هي: نفوسة، ضربة وأداسة وبنو الأكبر[1] وليس هناك تناقض بين من يقسم البربر إلى قبائل عدة ويذكرها مفصلة وبين المؤرخين الذين يختفون بذكر الأصول فحسب ذلك لأن البربر كانت أصول كبرى تفرقت إلى شعب انقسمت بدورها إلى بطون فمثلا هوارة حذرت من أوريغة وقبيلة مليلة انحدرت من هوارة وإنحذرت
غمارة من مصمودة وتتفرع من قبيلة "لوا " تغزاوة" ولواته" ومن "سدراته[2].
ونذكر من أهم مواطن القبائل البربرية:
لوّاته: توجد جبال متصلة من الشرق إلى الغرب في قبلة قابس وطرابلس أولها من الناحية الغربية جبل يسمى "دمر " وتسكنه أمم لواته من جانبه الغربي، وهذا الجبل غربي برقةوبطون لواته التي تسكنه هي زكودةومغرطة وزيارة.

نفوسة: في الجانب الشرقي جبل "دمر"، تسكن أمم من نفوسة وهناك جبل يقع في طول الجبل السابق شرقا وفي إقليم طرابلس وقد تسمى بإسم نفوسة لأنها تسكنه، وبين ذلك الجبل وبين طرابلس ثلاثة أيام، وأهله من الخوارج وتقطن "نفوسة " كذلك في مدينة.
قابس" بالقرب من طرابلس مع لماية ولواته وزواغة وغيرهم، كما يستوطنون مدينة "أودغست " ولواته وزناته ونفزاوة،[3] وكذلك كانت إزداجةووزداجة كانت كلتاهما تسكن
.
وهران " في المغرب الأوسط[4].
صنهاجة: وقد كانت هذه القبيلة أوفر القبائل عددا لعهد ابن خلدون وصلت بطونها إلى سبعينبطنا وكانت في المغرب الأوسط وفي إفريقية فقد كانت صنهاجة تقطن المنطقة الجبلية ممتدة من جنوب بجاية إلى جنوب مدينة الجزائر حاليا، وبجانب ذلك استوطنت جماعةمنهم بلاد المغرب الأقصى بجبال " درن " الشرقية " الأطلس الوسطى " وهؤلاء وصنهاجة جبل الثالث كما يطلق عليهم ابن خلدون[5].
كتامة: هي قبيلة لها أهمية تاريخية، التي أقامت الدولة الفاطمية بجهودها، وكانت مواطنها في العهد الأول للإسلام من الأرياف إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل أوراس وكان بهذه المنطقة ديارهم المشهورة مثل جبل اينجان، وباغة، وبلزمة، وتبكست وغيرها وبعد إنتقالهم إلى مصر بقيت لهم بقايا في جبل أوراس وقلعته وهنا به، ومن كتامة كذلك من سكن المغرب الأقصى وبناحية مراكشوأن كتامة كانت تسكن المغرب الأوسط مع صنهاجة وتحتل المنطقة مابين بجاية وقسنطينة، وكانت مساكن صنهاجة بالقرب من مساكنهم[6].

---

[1] - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د.ط، 1284 ه،- ص ص 289-90.
[2] - ابن خلدون المصدر السابق، ص 129.
[3] - ابن عذراي المراكشي: البيان المغرب في ذكر أخبار المغرب والأندلس، ج 1، دط، ص 175.
[4] - المصدر نفسه، ص175.
[5] - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 181.
[6] - موسى لقبال: المغرب الإسلامي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2 ، 1981، الجزائ، ص 17.

2- العرب:قد دخل العنصر العربي مع مطلع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب فالعنصر العربي دخل بلاد المغرب في صورة جيوش فاتحة، وقد استقرر جال هذه الجيوش في نواحي المغرب كله بعد إتمام الفتح، ولحقت بهم جماعات أخرى من الجند و المهاجرين العرب مع استمرار حركة الفتح وكانت نتيجة ذلك قيام مجتمعات عربية صغيرة معظمهم في المدن والمعسكرات، ومن هذه المراكز بدعوا ينتشرون في نواحي البلاد[1].
وبمجيء عقبة بن نافع الفهري الذي كانت خطته ترمي إلى تحقيق أهداف بعيدة المدى من تلك التي وضعها من سبقه من الفاتحين تثبيت العرب في أفريقية من أجل نشرالإسلام وتعميم الرسالة وذلك ببناء حاضرة لقيروان التي أصبحت عنصرا جديدا يجذب العرب إلى المغرب بنية الجهاد أو الاستقرار لقد أدى تأسيس القيروان إلى تدفقالعائلات العربية عليها طوال القرون الأولى انتقلوا إليها مع الجيوش الفاتحة، كما استقروا في الرباط التي أنشئت في العديد من المناطق[2].

لقد اتجه العرب إلى تفضيل مناطق على أخرى فمثلا في تفضيل المناطق الأخرى عن الأوراس، في فاستقروا بأعداد كبيرة في طبنة وبسكرة وسطيف ومسيلة(حاليا).

يشهد التواجد العربي في منطقة الأوراس انتعاشا واستقرار بمجيء الهلاليين، الذين ساهموا في تغيير البنية السكانية للمنطقة، مما دفع ببعض قبائل الأوراس البربرية إلى تقليد العرب في أساليب المعاش[3].

كما أن العرب لم يبقوا منفصلين عن السكان المحليين على عادة المستعمرين السابقين للمغرب حدث تزاوج واختلاط بينهم وبين البربر، لأن العرب قدموا بلاد المغرب رجالا فاتحين، فكانت العادة أن يتزوج العربي من قبيلة بربرية فيكون الولد تبعا لوالده من حيث اللغة والدين[4].

3- العجم:سكن منطقة إفريقية منذ عصر مبكر عنصر البربر والأفارقة، فضلا عما طرأ من الروم والرومان، والعجم هم خليط جنسي فيهم من تجري في عروقه الدماء السامية القرطاجية ومنهم من انتسب إلى السلالة الآرية أي من بقايا الرّوم والرّومان أو من الإيطاليين وخدامهم وكان ولائهم من يسيطرون على المنطقة ولبثوا حينا من الدّهر على

---

[1] - ابن وردان تاريخ مملكة الأغالبة، تح محمد زينهم محمد عزب مكتبة مدبولي القاهرة، ط1، 1408هـ 1988م 22 ص.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 05.

[3] - موسى رحماني: رسالة ماجيستر بعنوان الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافةالفاطمية إلى مصر (36227 هـ 637/972م)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 137.

[4] - حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية، ص 162.

ولائهم للبزنطيين وأخذوا عنهم المسيحية ومظاهر الحضارة الرومانية وقد دان بعض هؤلاء

بالإسلام، وتقلد بعضهم مسؤوليات إدارية وسياسية في ولاية إفريقية[1].

والرّوم هم البيزنطيين الذين وجدوا في البلاد أنداك وكانوا حكاّم البلاد مع الفتح العربي اختفى معظمهم ولم يبقى منهم إلا جماعات قليلة كانت تقيم بالسواحل ومدنها خاصة قرطاجنة وكذلك في بعض بلاد الجريد، أغلبهم اعتنقوا الإسلام وذابوا في سكان البلاد إلا من هاجر منهم إلى صقلية وغيرهم إلى البلاد الجنوبي الأوربي.[2]

4- أهل الذّمة:لقد أظهر خلفاء الفاطميين الأولون لأهل الذمة تسامحا كبيرا، إذ لا ينتظر ذلك من قوم مثلهم، لهم مذهب خاص انفردوا به وخالفوا به جمهور المسلمين،بالنسبة لأهل الذمة الذين يتمتعون بحقوق المواطنة.

فاستعان المعز لدين الله الفاطمي بكثير من الأطباء اليهود، وما لبث أن عظم نفوذهم في بلاطه، وصار يعقوب بن كلس الذي أسند إليه المعز بعض دواوين دولته، بتحيز إلى إخوانه في الدين من قبل وارتقى يعقوب في المناصب حيث أصبح وزيرا للعزيز بن المعز، واليه يرجع الفضل في وضع قواعد الدولة ونظمها. كذلك اتسم عهد العزيز بالتسامح مع النصارى، فزاد بلاطه في إكرامهم لما كان بينه وبينهم من صلة النسب إذ تزوج من مسيحية ، وكان لها إخوانرفعهما العزيز إلى أرقى مناصب الكنيسة.[3]
وقد بلغ من عطف العزيز على المسيحيين إن احتفل بأعيادهم ومواسمهم الدينية مشاركة لهم في شعورهم وكان منشأ بن إبراهيم الفرار اليهودي والياعلى بلاد الشام.[4]

ب – الفئات:

1-الفئة الحاكمة:هذه الطبقة متشكلة من الخلفاء و رجال الدولة، وهي الطبقة العليا في المجتمع المغربي الإسلامي تتألف من الخلفاء، الوزراء، الولاة وغيرهم من أصحاب السلطة والنفوذ. تمتعت هذه الطبقة بمكانة سياسية واقتصادية رفيعة لأن السلطة كانت بيدها.
مثل الصراع على الحكم والظفر بشرف قيادة صنهاجة تفسيرا مقبولا للصراعات والانقسامات الداخلية التي شهدتها هذه القبيلة، إلا أن لبّ هذا الصراع كان اجتماعيا واقتصاديا من أجل اعتلاء قمة التنظيم الاجتماعي، والسيطرة على المسارح ومصادر

[1] - موسى القبال المرجع السابق، ص 16.
[2] - ابن وردان : المرجع السابق، ص 21.
[3] - أدم ميتر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج2، دار الكتاب العربي بيروت، دط، ص 112.

[4] - ابن عذاري المصدر السابق، ص 63.

المياه والاستئثار بأكبر قدر من الغنائم والأسلاب على أن هذا الصراع سرعان ما يتلاشى أمام الأخطار الخارجية[1].
وقد شكلت تلكاتة أكبر بطون صنهاجة المغرب الأوسط التي ينتسب إليها بنود حماد حكام المغرب الأوسط في الفترة من سنة 408 هـ / 1018م إلى سنة 547 هـ / 1152م وامتدت مواطن جمهورها بجوار كتامة وكانت لها الزعامة على سائر صنهاجة الشمال ليس لوفرتها العددية فحسب، بل لاشتمالها على ثلة من القواد الكبار، الذين عملوا على لم شملها وتوحيد صفوفها ووضعوا النواة الأولى لجيش صنهاجي سرعان ما تحول إلى قوة عظمى، أضفى عليها هيبة كبيرة وامتد سلطاتها إلى المناطق المجاورة[2].

2- فئة العلماء والفقهاء: تمتعت فئة الفقهاء والعلماء بمكانة اجتماعية طيبة في مجتمعالزيريين، ويدل هذا على التقدير الكبير الذين كانت تحظى به هاته الفئة - العلماء والفقهاء - في نفوس الناس وعقوله،وكان للمشتغلين بالعلم مكانة مرموقة في المجتمع، بالإضافة إلى ما كان لهم من التكريم والتقدير من جانب أمراء المسلمين في دولة الزيريين، الأمر الذي زاد من مكانتهم ونفوذهم حتى أصبحوايؤثرون في مجريات الأمور بالدولة.

وباعتبار الدولة الصنهاجية لها جانب كبيرمن الاقتصاد يعتمد على الغنائم التي توفرها حروبهم المتواصلة، فلا غر أن يتعاظم شأن الفقهاء داخل الدولة، كونهم كانوا يعتبرون المنظرين لسياسة، والعارفين بأحكام الغنائم والخراج والجزية وغيرها من الأحكام الفقهية.[3]
3- فئة الجند: لقد بدا الجيش الفاطمي يتشكل بفضل قبيلة كتامة الذين آمنوا بدعوة أبي عبد الله الشيعي فكانوا يحمونه ويدافعون عنه ضد خصومه ومع الوقت ازداد عددهم فكانوا بحاجة الى تنظيم صفوفهم وقد أورد القاضي النعمان في هذه الشأن: «اهتم أبو عبد الله الشيعي بتنظيم مجتمعه الجديد فقسم كتامة أسباعا وجعل في كل سبع منهم عسكر وقدم عليهم مقدما وخصص لكل موضع داعية وسموا بالمقدمين والدعاة والمشايخ»، وقد أثار حماسهم وحبهم لغنائم وبهذا انظّم العديد من الناس وانخرطوا في الجيش الذي بلغ عدده 200 ألف جندي بين راجل وفارس ليرتفع هذا العدد عند دخوله رقادة إلى نحو ثلاثمائة ألف جندي[4].

---

[1] - رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80 ه / 699م – 362ه/973م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة 2006، ص 70.

[2] - المرجع نفسه، ص 70.

[3] - حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب و الأندلس -عصر المرابطين و الموحدين-، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ط1،ص 330.

[4] - القاضي النعمان: المصدر السابق.

4 - فئة التجار: احتلت طبقة التجار مكانة مرموقة في مجتمع المغرب الإسلامي في العصر الفاطمي، و يأتي تصنيفها بعد الطبقة الحاكمة وطبقة الجند، لا سيما و أن مصالح هذين الأخيرين مرتبطة بها، رغم ما قد يحدث من توترات نتيجة السياسة جبائية ثقيلة أو لجوء بعض الحكام الى مصادرة أموال التجار بوجه أو بأخر . و يبدو أن الوضع الإجتماعي للتجار على عهد الفاطميين كان مريحاً، وبخاصة إذا علمنا أن أبا عبد الله الشيعي قد منحهم الأمان، و أحسن
استقبالهم في جملة وجوه القيروان لما دخلها سنة 296هـ / 809م[1].
لقد تمتع التجار في العصر الفاطمي بحرية نشاط كبيرة شجعت عناصر هامة بما في ذلك الأجانب على الولوج الى بلاد السودان، و حتى أوروبا، وقد لعب التجار اليهود دوراً رئيسياً في انتعاش حركة المبادلات التجارية، وبخاصة بعد أن أحكموا سيطرتهم على أهم تجارتين في تلك الفترة، الذهب والرقيق، وقد كانت الدولة الفاطمية تلزم هؤلاء اليهود بدفع ضريبة متاجرهم، وذلك في مقابل السماح لهم بحرية النشاط التجاري، و التنقلعلى أراضيها[2].
5- فئة أصحاب المهن:لا بد أن البحث عن هذه الفئة وأدوارها ومكانتها الاجتماعية بالمغرب الأوسط يعد تحديا كبيرا لأي باحث حيث أن المصادر كانت شحيحة في الحديث عن ذلك وحتى الدراسات الحديثة لم تتناول ذلك بإسهاب يشفي غليل القارئ فما بالك بالباحث، وليس هناك إلا إشارات طفيفة تحوم حول الموضوع خاصة ما تعلق بمكانة هذه الفئة، وتأثيراتها داخل الدولة الحمادية، وحتى ما تعلق بالفترة المرابطية أو الموحدية فقد دأب المؤرخون خاصة المعاصرين منهم على التركيز على منطقة المغرب الأقصى باعتباره مركز الحكم، وعليه لا مناص من التركيز على بعض المهن التي عاصرت الفترة المعنية بالبحث في محاولة للإشارة إلى أصحابها.
وقد ساهمت عملية إنشاء المدن الجديدة في تلك الفترة على بروز الدور الهام لأصحاب المهن من بنائين وتجار وحدادين وغيرهم، الذين ساهموا بحق في عملية إعمار هذه المدن وتطويرها، ومنه فقد شهدت الفترة التي تلت تأسيس أشير، وبعد أن استبحر عمرانها أن قصدها التجار من القاصية وامتهن أهلها بعض الحرف، كالحدادة والنجارة والنسيج والصياغة والدباغة وصناعة الأسلحة التي عرفت رواجا كبيرا بين الصنهاجيين، لاسيما أن منهم من له باع طويل في هذا المجال خاصة أهل طبنة والمسيلة وحمزة وتلمسان الذين رحلوا إلى أشير، والذين تمرسوا على حياة التحضر في مواطنهم الأصلية، مما أضفى حركية كبيرة على المدينة وأدر أموالا طائلة على أهلها لاسيما التجار والصناع منهم، إضافة إلى الفلاحين الذين اشتهروا بكثرة إنتاجهم خصوصا بعد أن أشرف زيري بن مناد على حماية زروعهم وتأمينها.[3]
ولأن المغرب الأوسط بلد زراعي، ورعوي بالدرجة الأولى فلا غرابة أن مهنة الزراعة، والرعي كانت لهما مكانة كبرى بين أوساط السكان ذلك أن هذه المهنة غالبا ما مثلت مصدر الدخل الوحيد لكثير منهم. بالإضافة إلى ما كانت تدره على أصحابها من

[1] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 150.
[2] - ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ص 72.
[3] - رضا بن النية: المرجع السابق، ص 123-124.

أموال معتبرة نتيجة لعملية بيع المحاصيل التي لم يقتصر بيعها، والاتجار بها على حدود المغرب الأوسط فقط، بل تعدتها إلى البلدان الأخرى[1].

ج - واقع المرأة:

تبدوا أهمية هذا الموضوع في الدور الذي قامت به المرأة في فترة العهد الفاطمي في بلاد المغرب وإلقاء الضوء على أحوال المرأة في هذا العهد في جميع جوانب الحياة وتعددت أدوار المرأة فقد كانت تعين الزوج في الحصول على القوت اليومي للعائلة وذلك من خلال نسجها للنسيج فقد ذكر أبو الحسن بن القابسي أنه كان عيشه من كدّ امرأته حيث كانت تشتري الكتان فتغزله وتنسج منه أبدانا فتبيعها فما كان فيها من فضل تقوتا به واشتريا برأسماله كتانا فمن هذا كان عيشهما، كما كانت المرأة مهتمة ببيتها وزوجها وأولادها ضف إلى ذلك أنها كانت عونا لزوجها حتى في أعمال البناء وإصلاح الجدران ودليل ذلك لما جاء في المصادر أن زوجة الفقيه الحسن بن نصر كانت تكور له الطين بيديها وتناوله إياه يلمس به الحائط[2].

كما نجد المرأة كذلك تشتغل في متاجر الرقيق فحينما عزم عبيد الله على شراء خادم لولده القائم اشتراه له من امرأة من سجلماسة وكان من النساء من يبتغن الأجر مثل امرأة يحي بن يوسف المعروف بابن الأصم الأجاني وكان من أصحاب الحلواني الذي قدمنا ذكره ومات قبل دخول أبي عبد الله بدهر طويل فلما احتضر أخرج مالا لزوجته وقال لها إنّ هذا المال ما كنت أعددته لنفقة في الجهاد فليكن عندك بأمانة الله فأخرجيه وأنفقيه وبعدها مات،[3]فأنفقته في الجهاد وكانت تصنع بيدها الطعام للمجاهدين والضعفاء المؤمنين حتى أن يديها كانت تدميان من الطّحن وعلاج الطعام لهم كما اهتمت المرأة بمجال العلم والأدب فكن يشهدن المجالس ويسمعن الحكمة وكن منهن عجائز مثل أم موسى بنت الحلواني وغيرها[4].

وكان النساء يخدمن المؤمنين ويعالجن المرضى، كما كان للمرأة دور في الحكم والسياسة وذلك من خلال اعتراض أم القائم ولد الخليفة عبيد الله المهدي حين أراد تعذيب الفقيه المالكي سعدون بن أحمد الحلواني فقالت له تأتي إلى رجل صالح ولي من أولياء الله سبحانه وتعالى تفعل به هذا أما تخشى أن يدعو على والدك فيهلك فأمر بتخليته وأزال القيود من رجليه ودفع إليه ثلاثمائة دينار وبعث إليه دابة وقال له تصرف هذه الدنانير فيما تريد وهذه الدابة تركبها[5].
وكانت بعض النسوة يخرجن إلى الأسواق بخصلات من الشعر لبيعها من شدّة الفقر ويشترون بثمنها ما يحتجن في منازلهن.

---

[1] - رضا بن النية: المرجع السابق، ص 123-124.
[2] - المالكي: المصدر السابق، ص 50.
[3] - المصدر نفسه، ص 53.
[4] - القاضي النعمان :الإفتتاح المصدر السابق ص 132.
[5] - المالكي: المصدر السابق، ص 259.

وكان أبي عمرو هاشم بن مسرور التميمي يقف بالعشي بسوق الغزل فإن رأى امرأة تبيع خصلة فيقول لها ما دعاك إلى بيع هذه ألا تركتيها حتى تكملي عليها، فإذ أجابته قالت له مضطرة بكى وذهب معها ليرى منزلها ويشتري لها القمح والزيت.
وعموما فقد كانت المرأة تمثل مرأة المجتمع وكانت قد وقفت إلى جانب الرجل في العمل داخل البيت أو خارجه لذلك فقد جعلت لنفسها مكانة هامة في المجتمع ولا يمكن أن يتخلى عنها[1].

د - المناسبات :

1– الأعياد الدينية:لقد بلغت الاحتفالات الدينية درجة واضحة من المبالغة والإسراف والتأنق ولعل مرد ذلك إلى وفرة المال والثراء في العصر الفاطمي، هذا فضلا لما هومعروف عن الدولة الفاطمية من أنها دولة دعوة دعاية فهي تدعو إلى مذهب معين في بلاد وبين أناس ربما لا يتحمسون للأخذ بهذا المذهب، ومن بين مظاهر الاحتفالات في الدولة الفاطمية في المغرب نذكر الاحتفالات برأس السنة الهجرية الاحتفال بالمولد النبوي ... الخ.
أما عن الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب فيذكر ابن أبي دينار أنه من أعيادهم المشهورة ومواسمهم المذكورة تعظيم ليلة المولد الشريف[2].
ويزعم أن أول من أدخل الاحتفال بالمولد النبوي في بلاد المغرب السلطان أبو عنان المريني، ثم اقتضى به بنو أبي حفص في الديار التونسية ، فقد ذكر ابن عذراي أن المرتضي الخليفة الموحدي كان يقوم بليلة المولد خير قيام ويفيض فيه الخير والأنعام،ومنالمظاهر المألوفة في هذا العيد قراءة السيرة النبوية في المساجد[3].
وعن الاحتفال بشهر رمضان فقد عني الفاطميون به عناية خاصة واستعدوا له من قبل قدومه ، فقد كان من عادت الخلفاء الفاطميين أن يأمروا بإغلاق جميع قاعات الخمارين وتختم حوانيتهم ويمنع الخمر إبتداءا من أول رجب حتى نهاية شهر رمضان، وترسل الكتب إلى جميع البلاد التابعة للخلافة وبهذا تبدأ احتفالات هذا الشهر ويكون أولها ركوب الخليفة وبصحبته الوزير وحوله حرسه الخاص وثمة ظاهرة غريبة نلخصها عند الفاطميين وهي أن صيام شهر رمضان عند المسنين ينتهي بمجرد ظهور القمر سوءا أكان شهر شعبان تسعةوعشرين يوما أم ثلاثين بينما شهر رمضان عند أهل الشيعة ثلاثين يوما دائما وزعموا أنهمن أسرار النبوة[4].

لقد أعطى الفاطميون عناية خاصة للأعياد فطبعوها بطابعهم الخاص فكانت أعيادهم واحتفالاتهم في كل يوم جمعة وصلاة العيدين ، حيث كانت تقام ليلة عيد الفطر بالإيوان

---

[1] - الدباغ: المصدر السابق، ص 28.
[2]-عارف تامر: المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، ط 1 دار الأفاق الجديدة، بيروت،1982، ص 145.
[3] - محمد جمال الدين سرور المرجع السابق، ص 145.
[4] - حسن خضيري أحمد: الرجع السابق، ص 273.

الكبير الذي يواجه مجلس الخليفة سماط كبير وضخم تنثر عليه صنوف الفطائر والحلوى الشهية ، فإذا ما انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجلسه وفتحت أبواب القصر والإيوان على مصاريعها وهرع أنه سل من جميع طبقات إلى سماط الخليفة وتناولوا مما عليه من الطعام بمشهد من الخليفة ووزرائه وحينما تبزغ الشمس يخرج الخليفة في موكبه إلى الصلاة وإذا ما عاد الخليفة وجد سماط فيجلس أمام مائدة من فضة يقال لهما " المدورة " يقابلها سماط ضخم يتسع لنحو خمس مئة مدعو ، وكان يجلس إليه رجال الدولة والعظماء[1]. أما عيد الأضحى فكان لا يختلف كثير عن عيد الفطر إلا أنه يختلف عنه في بعض الأفعالالخاصة بالنحر.

ويبدوا أن الاحتفال بعاشوراء لم يظهر كاملا أثناء وجود الفاطميين في بلاد المغرب وإنما بدأ كخطوة باهتة، ومن المرجح أن بني زيري كانوا يحتفلون بهذا اليوم في بلاد المغرب[2].

2- الزواج: ومن الاحتفالات الأسرية نذكر منها الزواج، حيث يذكر المقريزي أن قيمة ما يقدمهالخلفاء والأمراء عند الزواج مهر كبيرا، فنجد الخليفة الآمر عندما تزوج السيدة "علم الأمرية" فقد كتب صداقها وجعل المقدم أربعة عشرة دينار، وكانت احتفالات الزواج على درجة كبيرة من الفخامة المتميزة بمظاهر الثراء، فتوزع الهبات الثمينة، وتنثر الأموال علىالعامة.

كما اتسمت احتفالات الزواج ببلاد المغرب بالبذخ والمغالاة في المهور إلى حد تجاوزت فيه مظاهر البذخ والإسراف التي كانت عند الفاطميين[3].

وينقل لنا ابن عذارى صورة عن احتفالات الزواج في عصر الدولة الزيرية (413 ه - 1022م)، بقوله «تعرس المعز فكان له عرسا ما تهيأ قط لأحد من ملوك الإسلام».

3 - الختان:لقد استمرت عملية الختان عند الفاطميين بالمغرب الإسلامي كغيرهم وذلك سنية (351 هـ-962م)، قرر المعز لدين الله ختان أبنائه فأشرك الرعية في هذه الفرحة وحتم عليهم تقديم أبنائهم الصغار ليختنوا، فقد ختن في المنصورية وحدها نحو ربع مليون من الصبيان وكان الرجل يكره أن يختن لابنه منفردا، ولذلك يحكى عن الخليفة المقتدر أنه في سنة (332 هـ - 944م)، ختن خمسة من أولاده، وختن قبل ذلك جماعة من الأيتام ونثر في هذا الختان خمسة آلاف دينار عينا ومائة ألف درهم ورقا و فرقت فيه دراهم وكسوة ويقال أنه بلغت النفقة فيه ست مائة دينار كما وضح لنا القاضي النعمان في كتابه طريقة الختان الجماعي: «و الخائنون في السرادقات على الكراسي، وبين أيديهم المنابر يجلسون الصبيان، والقوم يمسكونهم في حجورهم ويذرون الذرارات الممسكة للدم على ختانتهم ويقفون البخور، وماء الورد على رؤوسهم ويرشونهم على

[1] - عارف تامر: المرجع السابق، ص 195.
[2] - حسن خضيري: المرجع السابق، ص 273.
[3] - المرجع نفسه، ص 208.

وجوههم، لما يعتريهم من الروع، والبند بأصناف الملاعب قيام عليهم يلهونهم، ويصحبون من ظهر منهم يزفون به إلى منزله»[1].

كما كان المعز يختن في اليوم من أيام الشهر بحضرته اثنا عشر ألف صبي، وفوقها ودونها، وختن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر ألف صبي وكان وزن خرق الأكياس المفرغة مما أنفق في هذا الأعذار مائة وسبعين قنطارا، واستدعى المعز وهو بالمنصورية في يوم باردة الريح عدة شيوخ نم شيوخ كتامة وأمر بإدخالهم إليه من غير الباب الذي جرى الرسم به، فإذا هو في مجلس مربع كبير مفروش باللبود على مطارح وحوله كساء وعليهجبة، وحوله أبواب مفتحة تفضي إلى خزائن كتب[2].

ه- الصّحة:

الوضع الصّحّي لأي منطقة له علاقة وطيدة بطبيعة هوائها من جهة ومن جهة أخرى بالأغذية الّتي يتناولها السّكان، بالإضافة إلى أسباب أخرى كالتّلوث والمجاعة والأمراض... الخ.

يعتبر الهواء من بين الأسباب الهامّة الّتي كانت تؤثّر على السّكان في بلاد الغرب خلال هذه الفترة، يذكر البكري توفّي 487هـ/ 1094م،[3] بشأن مرسى الخرز أنّها كانت فاسدة الهواء يمتاز أهلها من غيرهم بصفرة ألوانهم وكذلك بونة « يصح بها السودان ويسقم البيضان»،[4] ومن المناطق الّتي اشتهرت بفساد هوائها نجد تنس الّتي كانت وبية« من يدخلها لا يسلم من المرض وكثيرا ما يموت بها الغرباء »[5].

وبالرّغم من أنّ هذه الإشارات مقترنة بالمدن وكذلك المناطق البدويّة القريبة من هذه المدن كانت هي الأخرى رديئة وتؤثّر على المكان فيصابون بالأمراض، وكثيرا مّا يؤثّر الهواء على عناصر الحياة الأخرى وأهمّها هو الماء إذ يذكر المقزوني[6] عن تنس أنّ هوائها رديء وماؤها رديء وكذلك كانت بلاد أريغ « رديئة الهواء وقلة طيب الماء، وكذلك كان الشّيخ أبو عبد الله يخرج بتلاميذه إلى وادي مزاب لتقوية أجسادهم»[7].

لقد شكّلت الأمراض وكيفيّة علاجها والتّعامل مع المريض، من انشغالات الفقهاء في نوازلهم[8].

---

[1] - القاضي النعمان المجالس والمسايرات المصدر نفسه، ص 554.

[2] - المقريزي: المصدر السابق، ص 95

[3] - البكري:المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د، ت ،ص 55.

[4] - المصدر نفسه، ص 59.

[5] - مجهول: الإستبصار، تح: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (د، ت)، ص 133.

[6] - نفسه، ص 173.

[7] - الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، د، ت، ج4، ص 184.

[8] - الونشريس: المعيار، ج1، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987 ص 302.

وتشير المصادر لكيفيّة استخدام بعض الأعشاب من قبل البدو وخلال هذه الفترة يدلّ على أنّ هؤلاء قد بلغوا درجة لا بأس بها في علاج المرض آنذاك، وكانت هذه الأعشاب تنبت في الجبل ومصدرها البادية.

ويذكر الإدريسي (توفّي 548ه/1159م) أنّ في بلاد القلعة جبل يسمى تاقريست به الكثير من نبات القوليونالحرافي، وكان السّكان يشربون هذه النّبتة للتّحصين من لسع العقارب السّود القاتلة، كما بجبل ميسون بشمال بجاية به العديد من النّباتات المنتفع بها في صناعة الطّب مثل شجر الحضض، والسقولوفندوريونوالباربارسوالقنطاريون الكبير والزراولد، والقسطونوالأفسنتين وغيرها من الحشائش،[1]ومن المؤكّد أنّ سكان البادية كانوا يعرفون تصنيع الأدوية من مستخلصات هذه النّباتات.

كما يذكر صاحب كتاب الاستبصار[2] أنّ «مليانة قريبة من أشير وهي حصينة في سفح جبل نكّار وشعراء هذا الجبل كلها ريحان»، كما كانت بالطّريق الرّابط بين أشير ومرسى الدجاج تمر قرية شعبة، ثمّ من فجّ يمتدّ خلفه سهل فسيح تلتقط في أرضه جذور الغرديب وهي مادّة مخدّرة تصدّر إلى بعيد،[3] وربما هي الكافوريّة الّتي يستفاد من جذورها،[4]وكذلك اَلْحَلْفَاءُ الّتي كان يُستفاد منها في علاج بعض الأمراض[5].كما استعمل المغاربة النّبق لمداواة الإسهال الشّديد الّذي يعرف بمرض الزّرب[6] وكذلك نبات "آطربلال" يستعمل لعلاج البهق،[7] وغيرها من النّباتات، وهذا كله يدلّ على أنّ سكّان بلاد المغرب كانوا يغطّون حاجاتهم الذّاتية العلاجية بمنتجات بيئتهم وبما تحتويه الطّبيعة.

و- العمران:

اهتمّ الفاطميّون كثيرا بأناقة البناء وجماليّته أيّما اهتمام، ومثال على ذلك مدينة المنصورة، حيث وصفت بأنّها « حسنة عجيبة الأبنية واسعة الأفنية، معدومة النّظير»[8]وكان الخليفة المنصور قد وضع جلّ اهتمامه في التّفاصيل الدّقيقة وسرعة الإنجاز كما أشار إلى ذلك بن حوقل بقوله:« أحسن بلد في أسرع أمد».[9]

أراد الفاطميّون جعل المنصورية مدينة لهم ولأتباعهم، فأولوا لها عناية خاصّة وزادوا من عمرانها،[10] وتحصينها فكانت مدوّرة الشّكل تشبه مدينة بغداد الّتي بنيت مدوّرة

---

[1] - الإدريسي: نزهة المشتاق، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983، ص ص 160-161.
[2] - مجهول: المصدر السّابق، ص 176.
[3] - الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج 2، ص 96.
[4] - محمد الطمّار: المغرب الأوسط في ظل الصنهاجيّة، ديوان المطبوعات الجامعية 2010، ص 153.
[5] - جودت ع الكريم: الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة في المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د، ت) ص 55.
[6] - ابن قنفذ: أنس الفقير، دار النّهضة للنّشر والتّوزيع، 2006، ص 133.
[7] - ضياء الدين س عبد الله: الجامع لمفردات الأدوية، ج 1، دار الكتب العلمية ط1، بيروت 1991، ص 6.
[8] - إدريس: تاريخ خلفاء الفاطميّين، ص 469.
[9] - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص ص 322-323.
[10] - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 231.

لأغراض الدّفاع والتّحصين[1].كما منح المنصور للكُتاميّين عددًا كبيرًا من البيوت داخل المدينة وصلت إلى أربعة عشر ألف بيت،[2] لم يقتصر الأمر على القصور الفخمة العالية فقط، بل اهتمّوا بالمصانع الخاصّة للأعمال المختلفة فضلا عن حفر العديد من الآبار لتوفير المياه الصّالحة للشّرب، والإستهلاك اليومي[3].

وكذلك عملوا على بناء حوالي 300 حمّام عام، ناهيك عن البيوت والأبنية الأخرى الضروريّة لاحتياجات المدينة الأمر الّذي غطّى على مساحاتها ولم يبق مجال للسّكن الإضافي داخل محيطها[4].

كما اهتمّ الخليفة المنصور بتحصين المدينة من خلال بناء السّور الحصين الّذي يحتوي على خمسة أبواب وهي: الباب القبلي، والباب الشّرقي، وباب زويلة وباب كُتامة وباب الفتوح وهي الأبواب المخصّصة للعمليّات العسكريّة من حيث خروج القوّات لشنّ الحملات وعودتها[5].

دون أن ننسى الأسواق الّتي كانت محلّ اهتمام الفاطميّين، ومثل ذلك السماط السّوق الّذي يبلغ طوله من باب الرّبيع إلى المسجد الجامع مسافة لا تقلّ عن الميلين، ومن الجامع إلى باب تونس ثلث ميل يحتوي على محلاّت مختلفة[6].

المبحث الثّالث: الأوضاع المذهبيّة في بلاد المغرب ق 5 ه

تأثر بلاد المغرب بما يحدث في المشرق خاصة في المجال الديني والثقافي ومن بين الأفكار والعقائد التي انتقلت بين المنطقتين المذاهب الدينية والفكرية، منها مذهب الخوارج في الاباضية والصفرية والمذاهب الشيعيةالزيدية والإسماعلية والمذاهب السنية المالكية والحنفية، وكان لعلماء المالكيّة السنّة وقفات ضدّ المذاهب العقائديّة والفقهيّة الّتي وصلتإلى بلاد المغرب قبل قيام الدّولة الفاطميّة، وأهمّ هذه المذاهب العقائديّة مذهب المعتزلة[7]حيث وصلت فتنة القول بخلق القرآن إلى المنطقة، فحاربها العلماء محاربة شديدة ووقفوا ضدّ القائلين بها موقفا صارما، فمثلا نجدهم قد امتنعوا عن الصّلاة على من عرف بالاعتزال وكان علماء المغرب مجموعين على ذلك[8].

---

[1] - المقدسي: أحسن التّقاسيم، ص 336.

[2] - روجي إدريس: المرجع السّابق، ص 467.

[3] - ياقوت الحموي: المصدر السّابق، ج5، ص 231.

[4] - البكري: المسالك والممّالك،ج2، ص 284.

[5] - البكري: المسالك و الممالك، ج2، ص 198.

[6] - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص231.

[7] - يسمّون أنفسهم أهل العدل والتّوحيد، ظهرت في البصرة في ق 2ه على يد الواصل بن عطاء، وكان تلميذ الحسن البصري، أصولهم: العدل، التّوحيد، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والمعتزلة بين المنزلتين وفرقهم هي:الواصليّة، والهذليّة، والنظامية والجاحضية (الشّهرستاني:الملل و النّحل، ج1، ص43.

[8] - إبراهيم التهامي،جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة، ناشروت، بيروت،ط2005،1 ،ص45).

وإذا كان الصّراع في مجال العقائد دائرا بين السنّة والمعتزلة فإنّه في مجال الأحكام كان دائرا بين المالكية والأحناف،[1]وكانالصّراع قائما في أيّام الدّولة الأغلبية وقد شرّد أهل الأهواء من المسجد الجامع في القيروان. وكانت فيه حلقًا للإباضيّة[2]والصّفريّة[3] والّذي تولّى تشريدهم القاضي سحنون[4].

وعندما تولّى القاضي الحنفي ابن عبدون لإبراهيم بن الأغلب عمل على اضطهاد المالكية،[5] وقد قام بضرب بن متعب ضربا شديدا امتحانًا له،[6] كما قام بقتل إبراهيم بن الدّمني وأبو القاسم مولى مهريّة وأحمد بن عبدون العطّار،[7] وكان حمديس القطّان من كبار علماء المالكية لا يصلّي وراء ابن عبدون (الحنفي)، فقد جيء يوما بجنازة وصلّى وراءه ابن عبدون، ثمّ أوتي بأخرى فصلى عليها القاضي ابن عبدون فلم يصلّي وراءه حمديس، وعندما عزل ابن عبدون اجتمع النّاس للشّهادة عليه فقال:« إنما كنتم تطلبون عزله فقد عزل». ومن شدّة تسلّط ابن عبدون على المالكية فإنّ إبراهيم بن الأغلب عندما عرض القضاء على عيسى بن مسكين بن منصور، رأى منه تردّدا فقال له:«إن لم تل لا ولين ابن عبدون يظهر البدعة ويهين السنّة ».[8]

وعندما قامت الدّولة الفاطميّة سنة 297ه/ 909م يزداد الصّراع وتشتدّ المحنة على أهل إفريقيّة المالكية، فبني عُبَيْد إلى جانب كرههم لأهل السنّة كانوا حاكمين وعملوا على نشر مذهبهم، لذلك كان على بلاد المغرب أن تواجه هذه الدّعوة الّتي سوف لا تترك وسيلة للنّفاذ إلاّ استنفذتها، وعلى أهلها إذا أرادوا التمسّك بمالكيّتهم أنّ يواجهوا التّنكيل والتّرويع والقتل[9].

وحاول أبو عبد الله الشّيعي في أوّل مرّة أن يقنع العلماء بمذهبه ويناظرهم عليه وفي هذا الإطار فقد تناظر الشّيعي مع أبي عثمان سعيد بن محمّد بن صبيح الغسّاني فقال له: «

---

[1] ـ الأحناف: مذهب سنيّ نسبة البابي حنيفة النعمان ولد بالكوفة 50ه/ 699 م أحد الأئمّة الأعلام، توفّي 150ه/ 767م (ابن خلكان:وفيآت الأعيان،ج5، ص 135).

[2] ـ الإباضيّة: فرقة دينية نسبة لأصحاب عبد الله بن أباض الّذي خرج أيام مروان بن محمد، وتمكنوا من تأسيس الدّولة الرّستميّة في المغرب الأوسط(الشهرستاني: المصدر السّابق، ج 1، ص 134).

[3] ـ الصفريه: فرقة دينية من فرق الخوارج، إتباع زياد ابن الأصفر، يقولون أنّ أصحاب الذنوب مشركون والذنوب الّتي فيها حد لا تكفر صاحبها، أما الذنوب الّتي ليس فيها حد كترك الصلاة فتكفر صاحبها. (الأسفرائيني، الفرق بين الفرق، ص90).

[4] ـ القاضي سحنون: فقيه مالكي هو بن سعيد بن حبيب التَّنُوتي، من شيوخ إفريقيّة المالكيّة، ولد 160ه/776م كان فقيه، وورع، وقاضي، توفّي سنة 240ه/854م (أبو العرب احمد بن تميم: طبقات علماء إفريقيا وتونس، تح: علي الشّابي ونعيم حسن الباقي، الدّار التّونسيةللنشر،تونس، ط2، 1985،ص 184).

[5] ـ حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكّوش، دار المغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ج1، ص 911.

[6] ـ القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح، د/ احمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت 1968، ج3، ص 230.

[7] ـ المصدر نفسه: ج 3، ص 233.

[8] ـ المصدر نفسه: ج 3، ص 215.

[9] ـ أبو العرب تميم: المصدر السّابق ص 17.

القرآن يقرّ بأنّ محمد صلّى الله عليه وسلّم ليس خاتم النبيّين»[1] فقال له سعيد ما دليلك فتلى عليه قوله تعالى:« ولَكِنْ رَسُولُ اَللهِ وَخَاتَمَ اَلنَّبِيئِينَ ». فخاتم النبئين غير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال سعيد: الواو هنا ليست من واوات الابتداء وإنّما من واوات العطف كقوله تعالى: «وَهُوَ اَلاَوَّلُ وَالآخِرُ وَاَلظَّاهِرُ وَاَلبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »[2].

فهل من أحد غير الله يوصف بهذه الصّفات، واشتهر سعيد بن محمّد بمناظراته وثباته على الحقّ، فعلى شأنه بين النّاس، أمّا صاحبه أبو بكر بن القمودي الّذي كان عارفا بأصول المناظرات لم تكن له المهابة والإجلال الّتي كانت عند أبي عثمان وسبب ذلك أنّه تناظر مع أبي العبّاس مناظرة أقحمه فيها، فجعل أبو عبد الله الشّيعي يحرّك أصبعه له ويقول:« إنّك لتظهر لأهل البيت ما أرى منك من البغضاء وتنصب في توهين أمرك ما اسمع من حجاجك » فاضطرّ الرّجل إلى الاعتذار وخاف سفك الدّم[3].

ولمّا خرج أبو عبد الله الشّيعي في طلب عُبَيْد الله استخلف أخاه العبّاس فأطلق يد محمّد بن عمر المرودي فتصلّب وتكبّر وكانت أيّامه صعبة جدًا، وأخاف أهل السنّة وترك أكثرهم الصّلاة في المسجد، وأخذ أموال الأحباس والحصون، وأخذ السّلاح وأمر الفقهاء أن لا يفتون ولا يكتبوا وثيقة إلاّ من تشرّق،[4]وأن يُزال من الحصون والمساجد اسم الّذي بناها وأمر بها من السّلاطين ويكتب اسم المهدي.[5] وقد كان العلماء من أوائل ضحايا الانتصار الشّيعي الإسماعيلي في إفريقيّة وبلاد المغرب فقد قتل أبو العبّاس الشّيعي عالمين فاضلين هما: ابن البردون وابن هذيل، وطيف بهما مربوطين إلى بغل مسحوبين على وجههما في القيروان ثمّ صُلبا[6]. ولمّا دخل عُبَيْد الله الشّيعي إفريقيّة وملكها احدث ما لم يعهده سكّان السنّة ومع ذلك قطع صلاة التراويح في رمضان وأمر بصوم يومين قبله وقنت في صلاة الجمعة قبل الرّكوع وجهر بالبسملة في الصّلاة المكتوبة واسقط من أذان صلاة الصّبح « الصّلاة خير من النّوم وزاد حيّ على خير العمل، ومحمّد وعليّ خير البشر »، ثمّ يقول المؤذّن أحياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدّين، وجامع شمل الإسلام والمسلمين، واعزّ بسلطانك جانبالموحّدين وأباد بسيفك كافّة الملحدين وصلّى الله عليك وعلى آباءك الطّاهرين وأبناءك الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدّين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين[7].

---

[1] - سورة الأحزاب، الآية 40.

[2] - سورة الحديد، الآية 03.

[3] - محمد بن حارث الخشني: طبقات علماء إفريقيا، نشر محمد بن أبي شنب، طبعة باريس 1915،ص 214.

[4] - يقول القاضي النّعمان: سمي بالمشرقي لقدومه من المشرق، ثمّ نسب إليه كل من بايعه ودخل في دعوته – أبو عبد الله الشّيعي- وسموا المشارق (القاضي النّعمان: افتتاح الدّعوة، ص 79).

[5] - المالكي: رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان، تح: بشير البكّش ومحمّد العروسي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2،1994، ج 2، ص 55.

[6] - المالكي: المصدر السّابق، ج2، ص 48.

[7] - ابن حمّاد: أخبار ملوك بني عبيد، ص 168.

وفعل أكثر من ذلك فقد جاهر بسبّ أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأزواجه الطّاهرين وحكم بكفرهم وارتدادهم عن الإسلام ولم يستثن إلاّ عليّا وقليلا ممن نّاصرهم من أتباعه[1]. وهذا ما دفع بعلماء أهل المغرب إلى إعلان معارضتهم الصّريحة للعُبيديّين والّتي أخذت أشكالا مختلفة، وكان أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن على رأس المعارضين فترك رباطه وجاء ليسكن القيروان فسُئل عن سبب ذلك فقال: « كنّا نحرس عدوّا بيننا وبينه البحر فتركناه وأقلنا على حراسة هذا الّذي حلّ بساحتنا، لأنّه أشدّ علينا من الرّوم ». فكان أشدّ النّاس مجاهدة لعُبَيْد الله وشيعته.[2] وعندما حضر أوّل خطبة لهم في جامع القيروان جلس عند المنبر فسمع خطبتهم، فلمّا سمع ما لا يجوز سماعه قام وكشف عن رأسه حتى رآه النّاس ومشى من المنبر إلى آخر باب الجامع والنّاس ينظرون إليه وهو يقول: « قطعوها قطعهم الله » فترك العلماء حضور جماعتهم فكان أوّل من نبّههم إلى ذلك[3].

وكان أبو يوسف قد سلّمه الله من الأذى، وأمّا أبا محمد بن العبّاس بن الوليد المعروف بالهذلي فقد ضُرب عريانا حتى سال الدّم من رأسه، ثمّ أُركب على حمار وطيف به في أسواق القيروان ثمّ حبس وترك بعد ذلك وحدث له هذا بعد وشاية مفادها أنّه يُفتي بمذهب المالكيّة ويطعن بالمهدي.[4]وسجن حكم بن محمد بن هشام القرشي لصلابته في السنّة وإنكاره على البدع ثمّ هجر إفريقيّة واستقرّ بالأندلس[5]. كما لقي المؤذّن عروس حتفه مقتولا بأمر من عُبَيْد الله الشّيعي سنة 307هـ/919م بعد أن قطع لسانه وطاف به في القيروان ولسانه بين عينيه ودنيه أنّه لم يقل في أذانه حيّ على خير العمل.[6]والأمثلة عن ذلك كثيرة، وأمّا من لم يستطع المقاومة من العلماء فاختار الفرار بدينه مثل يونس بن محمّد الورداني، الّذي فضّل رعي البقر في البوادي بعيدا عن أنظار الشّيعة،[7] وكذلك جعفر أحمد بن نصر الدّاودي الأسدي من أئمّة المالكيّة بالمغرب، اختار الفرار بدينه وأنكر على أهل القيروان السّكن مع بني عُبَيْد وبقاؤهم معهم فأجابوه بأنّ بقاؤهم بين أظهرهم مع من هناك من عامّة المسلمين تثبيتا لهم على الإسلام، وأنّه لو خرج من في إفريقيّة لتشيّع من بقي فيها من العامّة فرجّحوا اقلّ الضّررين[8].

-كما أنّ بعض العلماء كانت لهم شبهة التّعاطف مع بني عُبيد، ومن هؤلاء أبو القاسم بن خلف بن أبي القاسم الأسدي المعروف بالبرادعي، وكان من حفاظّ المذهب المالكي

---

[1] - ابن عذارى: المصدر السّابق، ج1،ص 159.
[2] - المالكي: رياض النفوس، ج2، ص 37.
[3] - المصدر نفسه: ج 2، ص 43.
[4] - المالكي: المصدر السّابق، ج2، ص 265.
[5] - ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989، ج1، ص 222، ترجمة رقم 275.
[6] - المالكي: رياض النفوس، ج2، ص 152.
[7] - المصدر نفسه: ج2، 152.
[8] - القاضي عياض: المدارك، ج 3، ص 709.

والمؤلّفين فيه، فابغضوه أصحابه وأفتوا برفض كتبه لأنّه كان يصحب سلاطين الشّيعة وألّف كتابا في تصحيح نسبهم وأنّهم كانت تأتيهم إمامة[1].

وهناك من علماء القيروان من تشيّع طمعا في المناصب مثل أبو جعفر بن خيرون ألّف في نسب عُبَيْد الله فرشّحه للقضاء ثمّ قتل من طرف محمّد بن عمر المردودي[2].
فكانت خطّة كتابة الوثائق تكفل ذلك فأصبح ثريّا بما التزمه من اخذ الدّراهم في كتابة الوثائق[3].
إنّ سياسة الاضطهاد الّتي اتّبعها الفاطميّون في إفريقية وبلاد المغرب لم تكن ضدّ السنّة المالكيّة وحدهم بل شملت جميع المذاهب خاصّة الخوارج الّذين من صفاتهم الخروج على الحكّام عكس أهل السنّة والجماعة الّذين يضيّقون هذا الباب، لذلك الخوارج لما استجمعوا قواهم خرجوا عن الدّولة الفاطميّة وتمرّدوا عليها مستغلّين وفاة عُبَيْد الله المهدي. عرفت ثورتهم بثورة صاحب الحمار أبي يزيد مخلد بن كبداد الخارجي الزّناتي الزّاهد ولد في قسطيلية[4].

وخالط النكاريةوهم من الصّفوية، سافر إلى تيهرت حيث كان معلّما للصّبيان فيها وخرج بناحية جبل الأوراس وتلقّب بشيخ المؤمنين، وقاتل عساكر القائم بأمر الله العُبيدي وعظم أمره ثمّ زحف على رقّادة فامتلكها ثمّ خضعت له القيروان سنة 333ه/944م وحاصر الخليفة العُبيدي في المهديّة وبدأت الهزائم تتوالى بانتقاض بعض البربر عليه فرجع إلى القيروان سنة 334ه/ 945م، ومات القائم فتولّى ابنه المنصور الحرب والتقى بمخلد في سوسة، انهزم فيها مخلد وقتل من أصحابه عدد كبير وتعقّبه المنصور فقبض عليه، وحمّل إلى المهديّة ثمّ قتله الخليفة وصلبه سنة 336ه/947م[5]وكانت هذه من أخطر الثّورات الخارجيّة الّتي كادت أن تقضي على الدّولة الفاطميّة.

وممّا ميّز هذه الثّورة عن غيرها هو مشاركة أهل السنّة فيها، وقد رأى فقهاء القيروان أنّ الخروج مع أبي زيد لازم لكفر بني عّبيد، منهم أبو إسحاق السّبائي وكان يقول اللهم سلّط عليه إماما عادلا يخرجه عنّا،[6] وكذلك أبو الفضل الممسّي كان يقول: « إنّ الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام، فلا يتوارث معهم ولا ينسب إليهم»،[7] وأبو العرب بن تميم الّذي حسم الأمر عندما تناظر النّاس حول شرعيّة الخروج فقال لهم: اسكتوا فسكت النّاس فقال:« حدّثني عيسى بن مسكين عن محمّد بن عبد الله يرفعه إلى النّبي

[1] - المصدر نفسه، ج 3،ص 710.
[2] - الخشني: طبقات علماء إفريقيّا،نشر محمّد بن أبي شنب، طبعة باريس، 1915، ص 175.
[3] - المصدر نفسه: ص 217.
[4] - قسطيلية: مدينة من أرض الزاي الكبيرة، عليها سور حصين، أهلها شرار (الخوارج) إباضية.(انظر: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4، ص 348).
[5] - ابن حمّاد: أخبار ملوك بني عبيد، ص 171.
[6] - المالكي: رياض النّفوس، ج 2 ص 469.
[7] - المصدر نفسه: ج2، ص 298.

صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال:« يكون في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنّهم كفّار»،[1] ولمّا تمّ الحديث كبّر النّاس وارتفعت أصواتهم ثمّ خرجوا [2] حتّى أصحاب الأعذار أرادوا المشاركة في القتال ولو بشكل رمزي[3].

ولقد اجتمع عدد كبير من النّاس وحملوا السلاح والبنود والطّبول، وأتوا حتى وصلوا إلى الجامع، وحضرت صلاة الجمعة فخطب خطيبهم أحمد بن أبي الوليد خطبة بليغة وحرّض النّاس على الجهاد وسبّ بني عُبَيْد واعلم النّاس بالخروج من غدهم، فخرج النّاس مع أبي يزيد لجهادهم، وحاصروهم في المهديّة، فلمّا رأى أبو يزيد ذلك لم يشكّ في غلبته واظهر ما أكنّه من الخارجية فقال لأصحابه:« إذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان حتى يتمكّن أعداءهم منهم »، فقتل منهم من أراد الله سعادته ورزقه الشّهادة، ومنهم الممسّي، وربيع القطّان وغيرهم حوالي 35 من الفقهاء والصّالحين وذلك في رجب 333ه/944م. ففارق النّاس أبا يزيد الخارجي واظهروا السنّة وحلقوا بالجامع،[4] وقالوا: « قتل أولياء الله شهداء» واشتدّ بغضهم له[5] وكانت هذه إحدى أهمّ الأسباب الّتي أدّت إلى هزيمة أبي يزيد وقتله، وكما هو متوقّع لم يستتبع هذه الثّورة إلاّ المزيد من العداء بين الفاطميّين والعلماء[6].

لقد بذل علماء المالكيّة جهودا كبيرة للدّفاع عن عقيدتهم أمام المدّ الشّيعي الإسماعيلي الّذي اجتاح المنطقة، ووقفوا له بالمرصاد، واستمرّت مقاومتهم للشّيعة الفاطميّين حتى لم تبقى لهم راية تعلو في سماء بلاد المغرب وإفريقيّة.

كان للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمذهبية تتميز بالتداخل فيما بينها وكان لها دور كبير في تاريخ المغرب الإسلامي، فالأوضاع الاقتصادية من زراعة وصناعة كانت تترجم طبيعة نشاط الفرد المغربي والتي أثرت عل سلوكاته الاجتماعية من عادات وتقاليد، وكذا اختلاف أعراق المجتمع المغربي من بربر وعرب وعجم أثرلتواجد الفرق الدينية من شيعة وسنة ومعتزلة، مع انتشار المذهب المالكي بشكل واسع نتج عن ذلك صراع بينه وبين الشيعة.

---

[1] - روي هذا الحديث في كتب أهل الحديث وممن رواه مسندا بألفاظ مختلفة، وعلق على أسانيدها محمّد ناصر الدّين الألباني مبينا ضعفها.

[2] - المالكي: المصدر السّابق، ج2، ص 309.

[3] - القاضي عياض: المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذاهب مالك، تح: د/أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1968، ج3 ص 317.

[4] - القاضي عياض: المدارك، ج 3 ص 318.

[5] - ابن عذارى: البيان، ج1، ص 218.

[6] - محمد محمود عبد الله بن بية: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء، جدة،ط2000،1، ص 28.

الفصـــل الثانـــــي

المعز بن باريس حياته وبعثه للمذهب السني بالمغرب

- **حياته وإمارته**
- **علاقته مع الشيعة الفاطمي**
- **قطع العلاقة مع الفاطميين وأحياء المذهب السني**
- **سياسة المعز لإعادة بعث المذهب السني**

يعتبر عهد المعز ابن باديس علامة مميزة في تاريخ الدولة الزيرية، وتاريخ المغرب الإسلامي عامة،قبل عهده ساد المذهب الإسماعيلي على حساب المذهب، لكن بتوليه الحكم ساد المذهب المالكي وكانت السيادة للمذهب المالكي بفضل جهود كبار المالكية بعد الله، وتم قطع العلاقة بين القيروان والقاهرة في عهد المعز ابن باديسوإعلان الخطبة العباسية، وعودة السّنة لإفريقية، فمن هو المعز بن باديس؟، وكيف كانت إمارته؟، وكيف كانت علاقته مع الشيعة الفاطميين؟، ماهو مذهبه؟، وماهي سياسته في بعث مذهبه السّني؟.

المبحث الأول : المعز بن باديس حياته وإمارته

أولا : حيـاته قبل الامارة

أ – **نشأته:** هو المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ،ملك من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقيا وما والاها من بلاد المغرب، ذكر ابن خلكان أنه ولد يوم الخميس سنة 398،[1] وذكر ابن الأثير أيضا نه ولد سنة 398ه / 1008 م، [2] أما ابن عذارى فذكر أن مولده كان في سنة 399 ه / 1008 م.

ويمكن تحديد تاريخ ميلاده من خلال ذكره لعمره أثناء ولايته للعرش ، حيث ذكر أنه ولي العرش وهو صاحب ثمان سنين وسبعة أشهر و حدث ذلك سنة 406 ه / 1016 م و بالتالي فإن تاريخ ميلاده يكون في سنة 398 ه / 1008 م[3].

كنيته أبو تميم كما جاء في الكثير من المصادر التاريخية، قال فيه شاعره ابن رشيق مادحا: إلى الملك المعز أبي تميم *** أمر بمن في سواه فلا أعيج[4].

عكس ما يقره ابن خلكان بأن المعز لا تعرف له كنية وإنما يعرف بالاسم فقط[5].

والده باديس بن منصور (ولد سنة 374 ه) الذي ولي مماليك إفريقية للحاكم ولقب بنصير الدولة، وكان سائحا حازما شديد البأس إذا هزّ رمحا كسره،[6]وجدّه هو أبو الفتوح يوسف بلكين الزيري الصّنهاجي (362 - 373هـ/ 972 - 983م) مؤسس الدّولة

---

[1] - ابن خلكان: وفيات الأعيان، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1949، ج 5، ص 233.

[2] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،تح عبد الله قاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995، ج 8، ص 88.

[3] - ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح ج.س كولان و ل.بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ج8، ص 295.

[4] - أبو الحسن علي بن رشيق القيراني: ديوان ابن رشيق، تحقيق وجمع وشرح د / محي الدين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص 55 .

[5] - ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 233.

[6] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1،2003 ، ص 1348.

الصّنهاجية وأول حاكم لبلاد المغرب وإفريقية من أصل بربري بعد الفتح الإسلامي، وذلك من قِبَل الدّولة العبيدية الفاطمية، أمّا عن أمه فقد أغفل ذكرها إلا نادرا وهذا ما أرجعه المؤرخين بالدرجة الأولى إلى أنها لم تكن من زوجات باديس الرسميات[1].

ولد المعز في مدينة المنصورية،[2] التي كانت قبل انتقال بني زيري إليها تسمى «صبرة»، وهي التي بناها الفاطميون على مقربة من مدينة القيروان، وفي هذه المدينة تحول بنو زيري من زعماء قبليين مرموقين في قبيلة صنهاجة، إلى ملوك ذوي بلاطات فخمة، مارسوا كل ألوان البذخ والرفاه في مواكبهم ومناسباتهم الأسرية والخاصة، وكان من أشهرهم على هذا الصعيد المعِّز بن باديس الذي بُنيت له قصور لم تماثلها قصور أخرى معاصرة، وصنع إيوانه الأعظم وبنى الخورنق تشبّهابخورنق النعمان بن المنذر.

ب –أعماله: نودي بالمعز بن باديس أميرًا وبويع له بالمحمدية[3] من أعمال إفريقية سنة 406هـ، بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام، وهو ابن ثماني سنين، وكان الحاكم بأمر الله العبيدي قد لقبه شرف الدولة، وسير له تشريفاً وسجلاً يتضمن اللقب المذكور، وذلك في سنة 407هـ.

وكان المعز بن باديس ملكاً جليلاً عالي الهمة، محباً لأهل العلم كثير العطاء، وكان واسطة عقد بيته، ومدحه الشعراء وانتجعه الأدباء، وكانت حضرته محط بني الآمال.

وصفه ابن الأثير بقوله: «وكان رقيق القلب, خاشعًا, متجنبًا لسفك الدماء إلا في حدّ، حليما يتجاوز عن الذنوب العظام، حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه, مكرمًا لأهل العلم, كثير العطاء لهم»[4].

قتل الشيعة وقطّ دعوتهم من أفريقية، ولعن أمراءهم بني عبيد على سائر منابر أفريقية ووفّى كلّ واحد من الصّحابة حقه، وأقام السّنة، وكانت متروكة منذ مائة وأربعين سنة.

---

[1] - هادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، " تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 م إلى القرن 12 م " ، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت الطبعة الأولى، 1992، ج1، ص 167.

[2] - المنصورية: مدينة من المدن الهامة في افريقية (تونس حاليا) تقع قرب مدينة القيروان، ذكرت المصادر أن تأسيسها على روايتين أولاهما أنه كان في العصر الزيري اثر الهجرة الكبيرة للقبائل الهلالية العربية من مصر إلى أفريقية وتخريبهم للقيروان ومدينة المهدية بعد الأزمة التي تعرضوا لها، الأمر الذي دفع الأمير الزيري المنصور بن يوسف الصنهاجي إلى بناء مدينة حصينة تحميهم من تلك الموجة التي حملت إسم مؤسسها المنصور الزيري أما الرواية الأخرى الأكثر رجاحا من الناحية التاريخية أن المدينة بنيت في العصر الفاطمي في الموقع المسمى بصبرة أيام الخليفة المنصور القائم وذلك سنة 337 ه / 949 م وهذا يرجع لصعوبة البقاء في مدينة المهدية التي كانت تتعرض لحصارات كثيرة.
للمزيد أنظر: مجلة أبحاث ميسان، المجلد الثالث عشر، العدد السادس والعشرون، السنة 2017، مدينة المنصورية في العصر الفاطمي (337 -362 ه)، م . د غفران الدعمي، م . د صلاح محسن، كلية التربية جامعة / جامعة ميسان.

[3] - المحمدية: هي مدينة المسيلة بالمغرب؛ لأنه اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي سنة 315هـ. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5،ص130.

[4] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص-ص 172- 173.

وكان مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه بأفريقية أظهر المذاهب، فحمل المعز جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وحسم مادة الخلاف في المذاهب.[1]

سار المعزبن باديس في تربيته على منهج أهل السّنة والجماعة، وتأثر بالفقهاء المالكية الذين أثّروا بدورهم في بعض الوزراء والأمراء، ونخص بالذكر العلامة أبو الحسن الزجال الذي اجتهد على الأمير المعز وأعطت هذه التربية ثمارها بعدما تولى المعزّ إفريقية، وكان عمل العلامة أبو الحسن في السير بدون أن يعلم به أحد من الشيعة الذين كانت الدولة دولتهم، وكان هذا العالم فاضلا ذا خلق ودين وعقيدة سلمية ومبغضا للمذهب الإسماعيلي الشيعي، واستطاع أن يزرع التعاليم الصحيحة في نفسية وعقلية وفكر المعزّ بن باديس الذيتم على يديه القضاء على مذهب الشيعة الإسماعيلية في افريقيا[2].

ج – وفاته:

بلغت الدولة الزيرية خلال عهد المعز بن باديس أوجّها، فقرّرالمعزّ خلع التّبعية للفاطميين، ووقعت الدّولة بين أيدي النّورمانوالأعراب، فلم يتمكن المعز من التعامل بحكمة مع بني هلال أول الأمر، إضافة إلى ذلك عدم تحكمه فيعساكره التي أظهرت عدم تماسكها و تجانسها في نفس الوقت رغم عددها الكبير، و بالتالي عدمقدرتها على الدفاع عن الدولة[3].

و قد أكمل المعز بقية عمره في المهدية ، وبعد أن أقام في الملك سبعا وأربعين سنة كما جاء في وابن أبي دينار في كتابه أن ولاية المعز كانت تسعة وأربعون سنة[4] حضرته المنيّة سنة 454ه / 1062م حسب ابن خلدون[5]، أما ابن عذارى فقد ذكر أولا نقل عن ابن شرف أن وفاة المعز كانت سنة 455ه / 1063م وكان عمره ثماني وخمسون سنة،[6] والخطأ في هذه الرواية بين فكيف يبلغ من العمر ثماني وخمسون سنة، فإن وفاة المعز كانت سنة 455ه / 1063م وكان عمره ثماني وخمسون سنة أما ابن خلكان فقال أنّالمعزّ توفي في سنة 454ه / 12 أوت 1062م،[7] وأماالمؤرخ ابن الأثير فقال إن المعز ابن باديس توفي سنة 453هـ/1061م[8].

ثانيا :إمـارته

---

[1] - ابن عذارى: البيان المغرب، ج8، ص-ص 267 –296.
[2] - علي محمد الصلابي:نشر الصفحات المطوية، ص 123
[3] - أبي عبد الله (ابن أبي دينار): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحضرتها المحمية، تونس، 1286م، ص 79.
[4] - المصدر نفسه، ص 296.
[5] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 326.
[6] - ابن عذارى: المصدر السابق، ص 295.
[7] - ابن خلكان: المصدر السابق، ص 233
[8] - ابن الأثير: ج8، المصدر السابق، ص 354.

عهد باديس بن منصور قبل وفاته لابن له اسمه المنصور بولاية العهد ولقبّه الحاكم بأمر الله بعزيز الدّولة وقرئ سجّله،[1] غير أنّ المنصور توفي والمعركة محتدمة بين باديس وعمّه حمّاد، وسبب وفاته كما ذكر أنه عندما كان في طريقه إلى المهدية عرضت له حمّى وظهر به جدري فأقام سبعة عشر يوما ثم توفي، فكتم أمره عن باديس خوفا أن يبدو منه جزع يكون فيه وهن على الدّولة فيما هو بسبيله من مقابلة عدوه، فبلغ خبر الوفاة إبراهيم وحمّاد بن بلكين فبعثا إلى باديس وقالا له:«إن ولدك الذي طلبت له ما طلبت قد توفي»، فكتب إلى السّيدة أم ملال[2] يسألها عن ذلك فورد كتابها بوفاته والتعزية عنه وتصف سلامة المعزّ وحسن حاله،رغم أنه لم يسألها عن المعز، وكأنها تشير إلى باديس أن ابنه المعز هو المؤهل لأن يكون وليّا للعهد فكان من صبر نصير الدولة وحسن عزائه ما كثر التعجب به، وجلس مجلسا عامّا للعزاء فكان لا يرى حربه مع أحدا جزعا إلا وقد سلاه وهون عليه، فراد ذلك سرورا لأوليائه وكمدا لحسدته وأعدائه،[3]ولم تذكر أغلب المصادر أن باديس بن المنصور قد عهد لابنه المعز بولاية العهد في حياته، وهذا ربّما يفسر الإختلاف الذي سيقع عقب وفاة باديس المفاجئة أثناء حربه مع حماد في آخر ذي القعدة سنة 406 ه / 1016م، فما إن تأكدت وفاة الأمير حتى خرج الخادم إلى حبيب بن أبي سعيد وباديس بن حمامة وأيوب بن يطوفت وهم كبار القادة فأعلمهم بوفاة باديس، وكان حبيب من أكبر رجاله وبينه وبين باديس بن حمامة منافسة وعداوة، فلما أعلمه الخادم خرج حبيب مسرعا إلى باديس وخرج باديس مسرعا إلى حبيب فاجتمعا في الطريق فقال كل منهما لصاحبه: «بيننا عداوة لا تبرح والأولى بنا في هذا الوقت الموافقة والإجتماع في تدبير هذا المهم فإذا انقضى رجعنا إلى ما كنا عليه» فحضرا ومعهما أيوب بن يطوفت و قالا: «إنّ صاحب هذا الأمر بعيد منا والعدو قريب مشرف علينا، و متى لم نقدم رأسا نرجع في أمورنا إليه لم نأمن العدو على أنفسنا، ونحن نعلم ميل تلكاتة وصنهاجة المغرب إلى كرامت بن المنصور أخي الأميرباديس» ، فاجتمع رأيهم على تولية كرامت ظاهرا فإذا وصلوا إلى موضع الأمن قدموا المعز بن باديس وينقطع الخلافوتصان بيوت الأموال والعدد، فأحضروا كرامت وبايعوه وكتموا الأمروأصبحوا وليس عند أحد من العسكر خير من ذلك وعزموا أن يقولوا للناس وأغلق أهل المسيلة أبوابها وكأنما ونودي فيهم بموت باديس بن المنصور، فشاع الخبروخاف

[1] - ابن عذارى: البيان، ص 261.

[2]- أم ملال:مستشارة العائلة الزيريةبنت المنصور وأخت باديس وعمة المعز أكثر النساء تأثيرا في البلاط الصنهاجي وأكثرهن شهرة، وتطلق عليها اسم السيدة، و هي التي ستولى مسؤولية الوصاية على الأمير الصغير بعد تنصيبه على رأس الدولة، وكان المعز متعلقا هما إلى درجة كبيرة، النويري، نهاية الإرب، ج 24. ابن عذارى، البيان، ج 1، ص 272.

[3] - ابن عذارى: البيان، ج 1، ص 263.

الناس خوفا عظيما وأظهروا ولاية كرامت، وأمر بالكتب إلى سائر الأعمال باسمه ولم يذكر المعز، فلما رأى عبيد باديس ومن كان على مثل رأيهم من الخدم والأجناد أنكروا ذلك إنكارا شديدا، فخلا حبيب بن أبي سعيد بأكابر القوم وقال:«إنما رضيناه يقصد كرامت - وقدمناه على أن يحوط الرجالويحرس الخزائن والأموال حتى يسلم جميع ذلك إلى مستحقه وهو المعز»، ومشى بعضهم إلى بعض وتحالفوا على ذلك سرّا، ثم اتّفق الجميع على تقديم كرامت في الخروج إلى أشير ليحشد قبائل تلكاتة وصنهاجة، فإذا اجتمعوا رجع بهم إلى المسيلة - المحمدية - فيقطن بها وترحل العساكر بتابوت باديس حتى يسلموه إلى ولده المعز[1] ودفعوا إلى كرامت مائةألف دينار وخزانة سلاح وأمتعةوتوجهوا إلى أشير يوم 04 ذي الحجة سنة 406 هـ / 14 ماي 1016 م[2].

وفي سنة 406 ه / 1016 م رحلت العساكر إلى المحمدية بعد أن أضرموا النار في الأبنية والبيوت و الزروب وقدموا التابوت أمام البنود والطبول، وسارت العساكر على تعبئة الزحف مقدمة وساقا وقلبا،[3] وهذا أمام مرأى حماد بن بلكين الذي خاطب أخيه وخاصته قائلا: « مثل هؤلاء يخدم الملوك، وصلت أنا إلى إفريقيّة فيثلاثين ألف فارس ما منهم إلا من أحسنت إليه و أنعمت عليه، و عدت إلى القلعة وما بقي معي إلا أقل من ستمائة وأنا بين أظهرهم أرجى ، وهذا ميت أطاعه هؤلاء كما كان حيا[4].
وكان وصول العسكر إلى مدينة المهدية يوم 08 محرم 407 هـ / 16 جوان 1016 م،[5] وبرزت العساكر على بابها، وركب المعز ونزل إليه الناس جماعات جماعات حتى كفل سلامهم، و كان حسب بن أبي سعيد قد قام عن يساره يعرفه بهم والمعز يسأل عن أحوالهم، فرأى الناس من عقله وإقباله ما ملأ قلوهم و أقر عيونهم بعدهارحل المعز إلى المنصورية فكان دخوله إليها في منتصف المحرم سنة 407 هـ / 22 جوان 1016 م، و بالتالي يمكن تحديد تاريخ 15 محرم 407 هـ / 22 جون 1016م، كتاريخ فعلي لبداية حكم المعز بن باديس الدولة الزيرية الصنهاجية وذلك باتفاق المؤرخين، فالدخول إلى المنصورية يعني الدخول إلى عاصمة الدولة ومنها يباشر شؤون الحكم، وكان دخوله دخولا جيلابالطبول و البنود وحل بقصره أفضل حلول و قد سر به الخاص والعام[6].
وفي يوم السبت 20 صفر 407 هـ / 28 جويلية 1016م عين المعز على رأس الجيش وإدارة البلاد محمد بن الحسن الذي كان واليا على طرابلس وأضاف إليه قابس و

[1] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 267.
[2] - وردت هذه التفاصيل بروايات متشابهة تقريبا في أغلب المصادر التاريخية (ابن الأثير الكامل، ج 8، ص 88 . ابن عذاريالبيان، ج 1، ص 267 . النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 111).
[3] - النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 268.
[4] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 268.
[5] - النويري: المصدر السابق، ج 24، 112.
[6] - ابن عذارى: المصدر السابق، ص 268.

نفزاوة[1]وقسطيلية وقفصة،[2] فبعث عماله عليها وعقد لأيوب بن يطوفت على سائر أعمال المغرب[3].

المبحث الثاني :علاقة المعز بن باديس مع الشيعة الفاطميين

أولا: قبل تولي المعز بن باديس الحكم

بعد أن استقرّ سلطان الفاطميين في مصر، كتب القائد جوهر الصقلّي إلى الخليفة المعزّلدين الله يستدعيه لتسلم زمام الحكم في مصر، فخرج المعزّ لدين الله من مدينة المنصورية عام 361ه/972 م متوجها إلى مصر القاهرة وبصحبته كبار رجال الدّولة وعدد كبير منأتباعه، وذلك بعد أن استخلف بلكين بن زيري،[4](361-373ه/972-984م) محافظا بذلك على أملاك الفاطميين في بلاد أفريقية والمغرب وسلّمه جميع مقاطعات المغرب وإفريقية ما عدا مدينة طرابلس،[5] وقد أورد ذلك الحدث التاريخي الهام ابن خلدون بقوله:«ونظر في من يولّيه أمر إفريقية والمغرب، ممن له الغناء والاطلاع به، والوقوف من صدمة التّشييع، ورسوخ القدم في دراية الدولة، فعثر اختياره على بلكين بن زيري بن مناد من قبيلة صنهاجة البربرية»[6].

واستمر في الحفاظ على نفوذ الفاطميين وعلى رموز الولاء لهم ابنهالمنصور (373-386ه/984-996م) وحفيده باديس (387- 406ه/997- 1016م).

وطيلة عهد المعز بن باديس (407- 454ه/1016-1062م) حتى حوالي سنة 440ه/1048م حيث أعلن هذا الأخير القطيعة مع الخلافة الفاطمية بالقاهرة ومذهبها الإسماعيلي والبيعة للخلافة العبّاسية ببغداد ومذهبها السني.

تميزت العلاقة بين المغرب الإسلامي ومصر قبل القطيعة بين الفاطميين والزيريين بعلاقة سطحية، فرغم أحداث سنة 407ه/1016م الدامية التي كانت ضدالشيعةفي بلاد المغرب، والتي لم يكن لها تأثير كبير في العلاقة بينهما.

ثانيا: بعد تولي المعز بن باديس الحكم

أ ــ العلاقات السلمية

---

[1] - نفزاوة: بالكسرة ثم السكون، مدينة من أعمال افريقية، ولهاسبعة أبواب وفيها جامع و أسواق حافلة، و هي كثيرة النخلوالثمار وحواليها عيون كثيرة،(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 296).

[2] - قفصة: بلدة صغيرة في طرف افريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد، و في أكثر بلادافريقية فستقا ومنها يحمل إلى جميع نواحي افريقية والأندلس وسجلماسة، وتمد القيروان بأنواع الفواكه، وحولها أكثر من مائتي قصر عامرة آهلة. تعرف بقصور قفصة(ياقوت الحموي، ،ج 4 ، ص 382).

[3] - النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 114.

[4] - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت، ج 1، ص. 257؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص. 1064؛ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام منشورات دار الحياة، بيروت، ط. 2، 1965، ج 2، ص. 132؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص. 183؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص. 439.

[5] - المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ص-ص. 102 – 103؛ عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة في التاريخ الجزائري.

[6] - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6، ص. 108؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص-ص. 99 – 100.

بعد تولي المعزابن باديس الحكم في 407ه/1016م، وصلت مجموعة من التشريفات والهدايا، حيثقام القاسم بنحمود ببعث خمسة أعلام منسوجة بالذهب، كما بعثأبو القاسم ابن اليزيد رسولا من الحاكم إليه بسيف من الجوهر ومنحه لباس لم ير الناس مثله، كما لقب المعز ابن باديس بشرف الدولة،[1] لم تكن أيام الظاهر[2] بأحسن حال من أيّام أبيه الحاكم،[3] حيث اتبع سياسة أبيه في التعامل مع الزيريين، وقد وصله من طرف محمد بن عبد العزيز تشريف ولقبّه بشرف الدّولة، وبعث إليه ثلاثة أفراس، كما بعث الظاهر رسولا إلى بلاد إفريقية وتحديدا لمدينة المنصورية، ومعه تشريف جليل لشرف الدّولة أبي تميم المعز ابن باديس، وثلاثة فروس بسروج ثقيلة، كما منحه سجل عشرين بلدا مذهبة، وسجّل لقب فيهبشرف الدولة وعضدها، فتلقاه المعز ابن باديس وقرأ السّجل بجامع القيروان،[4] وفي نفس السّنة وصله سجل آخر بزيادة لقب آخر، وأمر أن يكاتب من الأمير شرف الدولة وعضدها وتمّ ذلك بتشريف جليل[5].؟

وفي سنة 417 ه/1026م، زاد منسوب مياه نهر النيل فغرقت القرى وفيها سقط الظّاهر عن فرس، وأرجف بموتة ثم نجى من الموت ليتصدق بمائة ألف دينار[6] موجّهة للمدينة ومكّة، وإلى بلاد الشّام عشرون ألف دينار، وأمّا بلاد المغرب عشرون ألف دينار". كما قام المعز ابن باديس بمنح هدية للظاهر وفيها عشرون جارية لم ير كحسنين وثلاثة أفراس، وفيها كميات من الذهب بداخل سرجها، وسرج يحمل لؤلؤا، وسرح مملوء بالفضة، بالإضافة لعشرين خادما من السود، وثياب من أجود قماش سوسة وصقلية، فقبل الظّاهر هدايا المعزّ ابن باديس، وبعث إليه بهدايا وطرائف من الهند واليمن، و أشياء ثمينة[7].

ب – العلاقات العدائية

ظلّ المذهب الشيعي الرّسمي متغلبا على مذهب السّنة ما بقي العبيديون في إفريقية ولكن بعد رحيل المعز الفاطمي إلى المشرق وفي رفقته جزء مهم من قبيلة كتامة، فقد هذا المذهب دعامته بل وأسباب وجوده ونعني به عصبية القبيلة ونفوذ الدولة،[8] وقد تمكنعلماء المالكية بني زيري من إعادة كل أمر إلى نصابه، فطهّروا معتقدات الناس من كل ألوان الشبهات والبدع، فصفى الجو للعقيدة الإسلامية البسيطة الواضحة التي لا تقبل تأويلا و لا تستسيغ تعقيدا، وهذا لا يعني بالضرورة القضاء نهائيا على التشيع في بلاد المغرب فالشيعة موجودون في المنطقة، مما يعني أن أسباب الصراع لا تزال حاضرة

---

[1] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص269.

[2] -الظاهر: أحد الحكام الشيعة، ولد بمصر سنة 395هـ / 1004م، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه الحاكم سنة 411 هـ / 1020م، وقد طرد أهل السنة والفقهاء المالكيين من مصر، توفي الظاهر سنة 427 هـ / 1035م للمزيد أنظر: أحمد بن يوسف (الفرماني)، أخبار الدول،ج2، ط2، دار الكتب اللبناني، بيروت لبنان، 1989، ص 241.

[3] - ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12، د.ط، مكتبةالمعارف، بيروت، دت، ص .17

[4] - المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص 175.

[5] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 271.

[6] - المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص 132.

[7] - المقريزي: المصدر نفسه، ج2، ص 177.

[8] - إسماعيل العربي: دولة بني حماد، ص 109.

بقوة، ومجرد احتكاك بسيط بينهم وبين أهل السنة قد يكونالشرارة الأولى لإشعال نار الفتنة التي لا يمكن التنبؤ بنتائجها إطلاقا[1].

يعتبر حمّاد أول من قام بعمليات تصفية جسدية ضدّ الشيعة في المنطقة سنة **405ه/ 1014م**و هذا اثر خلافه مع بن أخيه باديس بن المنصور حيث عمل على استعطاف السكان من خلال استغلال عاطفتهم الدينية في بغضهم للشّيعة لأغراضه الشخصية، كما عمل على نقل التقتيل إلى القيروان في أحداث معقل أهل السنة وعقر دار ابن أخيه الأمير فعمل على إفساد ما بينه وما بين القاهرة[2].
تجددت أحداث التقتيل على عهد باديس في سنة **406ه/1015م**، وكان المحرض عليها هذه المرة أحد كبار العلماء محرز بن خلف[3].
تزامن اعتلاء المعز بن باديس الحكم مع الأحداث الدامية التي شهدتها العديد من المدن فيإفريقية وبلاد المغرب والمتمثلة في تقتيل الشيعة لاسيما في مدينة القيروان، وهذه الأحداث في امتدادلتلك التي وقعت سنتي **405 ه / 1014 م و 406 ه / 1015 م** وقد أخذت أحداث سنة **407 ه / 1016م** حيزا هاما في كتب التاريخ و لقيت استحسانا من المؤرخين السنة خاصةالمغاربة منهم، ونظم فيها الشعراء قصائد عديدة،وبدأت هذه الأحداث إثر جولة قام بها المعز بن باديس في القيروان ذكر خلالها الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بخير، فكأنها كانت إيذانا منه بالخروج من المذهب الشيعي الإسماعيلي وإعلانا للحرب على أتباعه في بلاد المغرب كلها، وذكرت عدة روايات تاريخية تسرد هذه الأحداث:
ذكر ابن الأثير أن المعز ركب ومشى في القيروان و الناس يسلمون عليهويدعون له فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل له: هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر فقال: « رضي الله عن أبي بكر وعمر، فانصرفت العامة الدرب المقلي من القيروان فقتلوا الشيعة »، و الرواية تدل على أن مجيب الأمير سني حيث أخبر عن القوم بأنهم رافضة.[4]

---

[1] - عبد العزيز المحذوب: الصراع المذهبي في إفريقية إلى قيام الدولة الزيرية الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثانية،1985، ص 223.
سبب تسميتهم رافضة أنهم سألوا زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبي بكر و عمر رضي الله عنهما فترحمعليهما ، فرفضه قوم فموا رافضة لرفضهم إياه، و كمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم إليه ، و قد بين شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم منهاج السنة النبوية بالتفصيل عقائد الشيعة الإمامية الرافضة (أبو العباس أحمد بن تيمية، منهاج السنة النبويةفي الرد على الشيعة والقدرية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1904، ج 1، ص 8 و ما بعدها..).

[2] - ابن خلدون: العبر، ج6، صر 351 .

[3] - محرز بن خلف: فقيه هو أبو محمد محرز بن خلف بن أبي رزين التونسي المعرف بالعابد حاتمة صلحاء إفريقية ، كان متقشفا فاضلا زاهدا في الدنيا مجانيا لأهلها ، كان في بداية أمره يسكن بالمرسى لا يألفه إلا أصحابه ، فلما سكن تونس انبسط للفقراء و الغرباء حتى كثر أتباعه ، و هو الذي دعا أبا محمد ابن أبي زيد القيرواني لتأليف ما يجب تعليمه الأبناء المسلمين فأجاب دعوته و ألف الرسالة ، وسئل عما يأحد بني عبيد من الزكاة فأجاب بأنها لا تجزئ وهم على غير الإسلام ، ولد سنة 340 ه / 951م وتوفي سنة 413 هـ / 1022م ، وضريحه بمدينة تونس (القاضي عياض، المدارك، ج 3، ص 712 . محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص94 . خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص 284).

[4] - ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 114.

وروى النويري، حيث قال إنه ركب المعز في القيروان و الناس يسلمون عليهفمر بجماعة فسأل عنهمفقيل له هؤلاء رافضة والذين قبلهم سنة، فقال: «و أيّ شيء الرافضة وأيّ شيء السنة»،فقيل له: «السنة يترضون عن أبي بكر وعمر والرافضة يسبونهما» فقال: «رضي الله عن أبي بكر وعمر»، فانصرفت العامة من فورها إلى الناحية المعروفة بدرب المقلى، فقتلوا منهم جماعة ووقع القتل فيهم[1]، وأضافت الرّواية هذه شيئا جديدا واقعيا إلى حدّ كبير، وهو جهل المعز تماما بمعنى الرّافضة و السّنة.

أما ابن عذارى فقد روى سبب الأحداث كما يلي:«كان المعز صغيرا إذ ولي وهو ابن ثمانية أعوام، وكانت إفريقية كلها على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة من وقت تملك عبيد الله لها، فحرض ابن أبي الرجال المعز وأدبه ودلّه على مذهب السّنة والجماعة والشيعة لا يعلمون ذلك، فخرج المعز في بعض الأعياد إلى المصلى في زينته وحشوده وهو غلام، فكبا به فرسه فقال عند ذلك: أبو بكر وعمر، فسمعته الشيعة التي في عساكره فبادروا إليه ليقتلوه، فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان، ووضع السيف في الشيعة»[2]، وهذا الخبر يبيّن دور ابن أبي الرّجال ومكانته عند المعز، وأنه علّمه السّنة و حبّ الصحابة، وأنّ السبب الرئيسي الذي أدّى إلى ما وقع هو محاولة عساكر المعز من الشيعة قتله بسبب استغاثته بأبي بكر وعمر، وإنقاذه من طرف عبيده ورجاله السنيين وأنّ السّنة إلى هذا العهد كان أهلها يكتمونها خوفا على أنفسهم خاصة أولئك الذين يعملون في البلاط الأميري.

توجّه بعض من أهل السّنة إلى درب المعلى - أو المقلى - الذي وصف بأنّ فيه قوما يستترون مذهب الشّيعة من شرار الأمة ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا وانبسطت العامّة عليهم[3] وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم فقتل منهم ما يزيد عن ثلاثة آلاف، فسمي ذلك الموقع بركة الدم، قال أبو الصلت: «وصاح بهم في ذلك الوقت صالح الموت، فقتلوا في سائر بلاد إفريقية و المغرب فيالمدائن والقرى»[4].

وحتى مدينة المهدية التي بناها عبيد الله ليبتعد وقومه عن معقل أهل السّنة في القيروان، لم تسلم هي الأخرى من بطش العامة بالشيعة، فالنّاجون منهم لجأوا إلى جامعها الذي بالحصن فقتلوا فيه عن آخرهم، و حتى قصور المنصور بالمنصورية لم تكن ملاذا آمنا لهم، وهي التي من المفروض أنها إقامات أميريّة محاطة بحراسة مشددة في حال الأمن ، فكيف بها إذا هاجت الخطوب؟، لكنها الفوضى التي عمت والقتل الذي انتشرففي 407 ه/1016م خرج من بقي من المشارقة إلى قصر المنصور بظاهر المنصورية وهم حوالي ألف وخمسمائة وتحصنوا به فحاصرهم السنة، فاشتدّ عليهم الحصار والجوع فأقبلوا يخرجون والناس يقتلون منهم ويحرقون إلى أن قتلوا عنآخرهم، وفي المدينة ذاتها تم هدم دار الإسماعيلية، وهي مكان معد الاجتماع الشيعة[5].

وقتل من لم يعرف مذهبه بالشّبهة ، فقد قيل إنّ العامّة جاءت برجل منهم الهموه فمروا به على شيخ عاميّ، فقالوا نسير به إلى الفقيه ابن خلدون فنأخذ بما يأمرنا به، فقال لهم

---

[1] -النويري:نهاية الأرب، ج24، ص 112.

[2] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج24، ص 273.

[3] - ابن عذارى: المصدر نفسه، ص 268..

[4] - ابن الأثير: الكامل، ج 8، ص 114. ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 273.

[5] - روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج 2، ص 358.

ذلك الشيخ: «لم لا تقتلوه الآن، فإن كان رافضيا أصبتم وإن كان سنيّا عجلتم بروحه إلى الجنة من الآن»[1].

والسؤال المطروح هو: أين هي الدولة ومؤسساتها خاصة الأمنية منها التي من واجبها وضع حد للفتنة؟، أم أن الأمور تجاوزتها ولم يكن في مقدورها السّيطرة على الأوضاع؟.

يمكن الإجابة على هذا السؤال بما ورد في الرّوايات التاريخية، حيث ألقت بمسؤولية كبيرة ومباشرة على عامل القيروان في إشعال نار الفتنة، فقد رام إفساد البلاد بعد أن أصلحها واستقامت له الأمور لما بلغته أنباء تفيد بأنه سيعزل من منصبه إضافة إلى هذا فإن الجنود أنفسهم شاركوا في ما حدث[2]، و ذهب البعض إلى أبعد من ذلك وألقى بالمسؤولية على المعز الذي كان يدعو الناس بالسرّ ويشجعهم على القضاء على الفلول الشيعية[3]، فكان من المتعذر إذا على السيدة أم ملال ومنمعها أن يضعوا حدا لهذه الفوضى العارمة التي عمت البلاد كلها.

هناك أمر آخر مهم جدا لا يجب إغفاله، إنه دور العلماء فيما يجري، وبهذا تكتمل الصورة فيبدو ذلك التساند الواضح بين قوى المغرب المختلفة في مقاومة المذهب الشيعي ومناصرة المذهب السّني، وكان المدينة القيروان المشاركة الإيجابية والدور المهم في شحذ الهمم وتقوية العزائم،[4] فلا عجب أن يكون لأبي علي الحسن بن خلدون أحد أبرز علمائها دور أساسي في أحداث سنة 407 هـ / 1016 م.

بالإضافة إلى أنّه لا يمكن إنكار حب المعز للسّنة و تتبعه للرّافضة طوال سنوات حكمه ومثال عن ذلك ما نقله ابن رشيق في ترجمة إسحاق بن إبراهيم، والذي وصفه بالسباب الرافضي، وكانت نهايته القتل على يد المعز سنة 420 ه / 1028م احتسابا؟[5] وهذاما يدل على أنتتبع الرافضة كان أمرا شائعا آنذاك.

---

[1] - القاضي عياض: المدارك، ج3، ص 665.

[2] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 114. النويري، المصدر السابق، ج 24، من 113.

[3] - عارف تامر، الدولة الفاطمية الكبيرة، ص 125.

[4] - محمد العروسي المطوي: سيرة القيروان رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي، الدار العربية للكتاب، تونس،1981، ص 35.

[5] - ابن رشيق: أنموذج الزمان، ص 69.

المبحث الثالث: قطع العلاقة مع الفاطميين وإحياء المذهب السني

أولا: قطع العلاقة مع الفاطميين

أ – بوادر بداية الانفصال عن الدولة الفاطمية

كما سبق الذكر برحيل المعز لدين الله الفاطمي إلى بلاد مصر عام (361 ه/ 970 م) بقيت إمارة إفريقية حكماً وراثياً لبيت بلكين بن زيري يستمد سلطانه الشرعي من خليفة مصر المعز،[1] وقد تمكنت من بقاء سلطانها في بلاد المغرب بفضل النزاع القائم بين القبائل، وبعد أن عمّ الصلح بين هذه القبائل، شرعت بلاد المغرب في الاستقلال شيئاً فشيئاً عن السلطة الفاطمية في مصر، ثمّ تطور هذا الاستقلال إلى أن انتهى بالانفصال الروحي والسياسي بين كل من الفاطميين في مصر وبني زيري في المغرب[2].

بدأت بوادر الانفصال في بداية عهد الأمير المنصور بين يوسف بن بلكين الصنهاجي والخليفة العزيز بالله الفاطمي، بتولي الأمير المنصور بن يوسف بن بلكين مهام الأمر في الدولة الفاطمية، إذ عندما تسلم كتاب الولاية على إفريقية سنة (373 ه/ 983 م) من الخليفة العزيز بالله الفاطمي، قال للذين جاؤوا لتهنئته بمدينة أشير عاصمة ملكه:«إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهراً، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، وما أنا في هذا الملك من يولى بكتاب ويعزل بكتاب، لأني ورثته عن آبائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير»[3]، مما يدل على أن الملك أصبح حقاً واجباً له، وأن ليس في استطاعةخليفة مصر الفاطمي عزله عنه.

حاول الخليفة الفاطمي العزيز بالله أن يضعف من قوة المنصور بن بلكين، وذلك لما رآه من تمرده عليه، حيث قام بإيثار قبيلة كتامة البربرية عليه، وعمل على استمالتها إليه لتكون له قوّة يستطيع بها مقاتلة المنصور وأخذ إفريقية منه، فقام بإشعال نار الفتن بينهما، ولكن المنصور تمكّن من القضاء عليها، وبعد وفاة الخليفة الفاطمي العزيز بالله تولّى أمر الدولة الفاطمية في مصر من بعده ابنه الحاكم بأمر الله، وفي نفس السنة توفي أمير إفريقية المنصور بن بلكين وخلفه ابنه باديس الصنهاجي، فقامت بينهم علاقات تميزت بالعداء الشديد فيما بينهم، ازدادت حدة عندما حاول الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب سنة(390 هـ/ 999 م)، التابعة لأملاك

[1] - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6، صص 184-186.
[2] - حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ص597.
[3] - ابن عذاري: البيان المعرب، ج 1، ص. 343.

باديس، مما دفعه إلى اللجوء إلى قبيلة زناتة وإغرائها بالاستيلاء على مدينة طرابلس فتم له ذلك عام (393 هـ/ 1002 م)[1].

ب – الانفصال عن الدولة الفاطمية

أخذت العلاقات بين الفاطميين في مصر ونوّابهم بني زيري في بلاد المغرب تسير من سيء إلى أسوأ إلى أن بلغت مداها في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[2] ونائبه على إفريقية المعز بن باديس، وذلك عندما أعلن المعز بن باديس الانفصال نهائياً عن الدولة الفاطمية في مصر، وقام بقطع الخطبة للخليفة المستنصر بالله وإحراق أعلام الدولة الفاطمية وشعار دولتهم، وإزالة اسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي من الطراز والرّايات؛ كما أمر في نفس العام بتبديل السّكة، فنقش على الأزواج في الوجه الواحد «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» وفي الوجه الثّاني «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، كما أمر أن يسبك ما كان عنده من دنانير والّتي عليها أسماء بني عبيد، فسبكت وكانت أموالاً عظيمة[3]، ثم أمر بالدّعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله في خطب الجمعة والعيدين، فلقيذلك العمل ترحيباً من قبل الخليفة العباسي القائم بأمر الله، فبعث إليه بالتقليد والألوية السّوداء العباسية، وقد أورد المقريزي ذلك الحدث التاريخي الهام بقوله:

«وفي سنة443 ه أظهر المعز بن باديس صاحب إفريقية الخلاف على المستنصر وسيَر رسولا إلى بغداد ليقيم الدعوة العبّاسية، واستدعى منهم الخلع، فأجيب إلى ذلك وجهزت الخلع على يد رسول له إلى بغداد ليقيم الدعوة العباسية وظهرت الخلع على يد رسول يقال له أبو غالب الشيرازي، ومعه العهد واللواء الأسود»،[4]كما أورده ابن خلدون بقوله:

«ولما لقي الخليفة العباسي وثيقة المبايعة من المعز، وجّه إليه بواسطة أبو الفضل البغدادي كتاب التقليد والخلع، فقرئ الكتاب في الجامع الأعظم بالقيروان، ونشرت الأعلام السوداء رمز العباسيين، وهدمت دار الإسماعيلية الشيعة الشبيهة بدار الحكمة

---

[1] - حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، المرجع السابق، ص 526.

[2] - المستنصر بالله الفاطمي: الخليفة الفاطمي هو أبو تميم الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحكم بن عبد العزيز بن المعز لدين الله، بويع بالخلافة بعد موت والده الظاهر في عام 427ه، في عهده قطع المعز بن باديس نائب الفاطميين على بلاد المغرب الدعوة للفاطميين، كما شهدت مصر في عهده غلاء ومجاعة، (ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج 5،ص 230).

[3] - ابن عذاري: البيان المغرب، المصدر السابق، ج 1، ص. 278؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9، ص 217.

[4] - أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج 5، ص 50. ابن شرف: رسالة الاستقصاء، تحقيق حسني عبد الوهاب، دمشق، 1320 هـ، ص 110. روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ص 230. ابن عذاري: البيان المعرب، المصدر السابق، ج 1، ص 280.

التي أنشأها الفاطميون بالقاهرة»[1]ونقله ابن عذاري بقوله: «وفي سنة أربع مائة وأربعين قطعت الخطبة لصاحب مصر وأحرقت بنوده»،[2] كما نقل ابن عذاري عن ابن شرف قوله: «وأمر المعز بن باديس بأن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب وبقطع الدعوة الشيعية العبيدية. فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة وللعباس ولبقية العشرة».[3]

وقد وجدت هذه الإجراءات التي اتّخذها المعز بن باديس ضدّ الخليفة الفاطمي المستنصر بالله القبول والترحيب من أهل القيروان المالكية ومن الأهالي الذين رفضوا قبل ذلك أداء صلاة الجمعة فراراً من الدعوة الفاطمية[4]، هذا بينما كان لها وقع سيء على الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، بحيث كتب إلى المعزّ بن باديس عندما خطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله خطاباً يهدّده فيه بقوله: «هلاّ اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء؟، فأجابه المعز بقوله: إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك، ولهم عليهم من الحزم أعظم من التقديم، ولو أخروه، لتقدموا بأسيافهم»،[5] وقد حاول وزير الخليفة الفاطمي المستنصر- ويدعى أبا القاسم علي بن أحمد الجرجاني، والذي تولى الوزارة في عهد الخليفة الفاطمي العاضد، فكان رجلا عاقلا كيسا- أن يصلح بين الخليفة المستنصر والأمير الخليفة المعز بن باديس، وذلك عندما رأى بوادر التحول في علاقة المعز بن باديس مع الخليفة المستنصر بالله تتوالى[6]، ولكنّه توفي عام (436ه/1044م)، وخلفه في الوزارة الوزير أبو الحسن اليازوري[7]، الذي كان - فيما يبدو - عنيفا متسرعا في أموره، فقد أثار غضبه نزوع المعزّ بن باديس إلى الخروج عن طاعته للفاطميين، فحاول أن يثني المعز عن تصرفاته وأفعاله، فقام باستدعاء نائب المعز بن باديس بالقاهرة وأبدى له ملاحظاته على هذه التصرفات من قبل المعز بن باديس وهدّد الوزير اليازوري السلطان المعزّ بن باديس بأنه إذا لم يرجع إلى طاعة الخليفة المستنصر ويتأدب معه، فسيقوم بتأديبه ولكن المعز لم يلق بالا لهذا التهديد، ولم يفكر في

---

[1] - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6، ص. 14. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج 9، صص 217–220.

[2] - المقريزي: اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص222.

[3] - ابن عذاري: البيان المعرب، المصدر السابق، ج 1، صص 277–278.

[4] - تباينت المصادر التاريخية حول بدء القطيعة بين المعز بن باديس و الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، فبعضها ذكر أنها وقعت عام 443 هـ/ 1051 م، وهي السنة التي أمر فيها المعز بن باديس بلبس الشعار الأسود - وهو شعار العباسيين - في مدينة القيروان، بينما حددها بعضهم بأنها عام 439 – 440 هـ/ 1047 – 1049 م.

[5] - ابن خلكان: وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج 4، ص 321. ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 4، ص 131. ابن عذاري: البيان المعرب، المصدر السابق، ج 1، ص 275.

[6] - المقريزي: اتعاظ الحنفاء ، المصدر السابق، صص 21–22.

[7] - أبو الحسن اليازوري: وزير فاطمي أصله من قرى فلسطين، وكان أبوه فلاحا بها، تولى الوزارة في عهد عدد من الخلفاء الفاطميين، ومنهم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، له كفاية ممتازة في معالجة الأزمات الاقتصادية والسياسية، وقد ذكرت بعض المصادر أنه هو الذي أشار على الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بترحيل القبائل العربية من مصر إلى بلاد المغرب لمقاومة الأمير المعز بن باديس الخارج عن طاعة الفاطميين في بلاد المغرب. (انظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، صص 20. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج 9).

ما كان يخطّط له الوزير اليازوري من استعمال القبائل العربية لتأديبه، بل ظهر أنه مجرد تهديد دون عقاب.

وقد تباينت المصادر التاريخية حول الأسباب التي دفعت السلطان المعز بن باديس للانفصال والاستقلال التّام عن الخلافة الفاطمية في مصر، فذكر المقريزي أنه يرجع إلى عداء شخصي بين المعز بن باديس والوزير الفاطمي أبي محمد الحسن اليازوري بسبب أن المعز قصر في صيغة مكاتبته لليازوري، فبعد أن كان يكاتب كلّ وزير قبله بلفظ «عبده»، صار يكاتب اليازوري بصيغة «صنيعتكم» بحجة أن اليازوري كان من أرباب الزّراعة والفلاحة وليس من أرباب الكتابة والوزارة، فلمّا احتجّ اليازوري على هذه المكاتبة، لأنها تحط من قدره. قال المعز: «ما الذي يريده مني هذا الفلاح؟ أكنت عبده؟ لا كان هذا ولا يكون أبداً. وما كتبت إليه فكثير». ثم أعلن العصيان والاستقلال عن الخليفة الفاطمي المستنصر، ودعا للخليفة العباسي.

هذا، بينما ذكرت مصادر أخرى أن السبب في ذلك العداء بين المعز والوزير اليازوري هو تجاهل المعز بن باديس لتهديد الوزير اليازوري، إذ كتب إليه اليازوري بأنه إذا لم يرجع إلى طاعة الخليفة المستنصر ويتأدّب معه، فسيقوم بتأديبه، فتجاهل المعز بن باديس ذلك التّهديد ولم يقم له أي اعتبار، بل استمر في أعماله ضد الفاطميين وتخليص بلاده من أتباعهم الشيعة، بحيث أمر بتعقبهم بالقتل والتشريد وقتل دعاتهم وتطهير بلاده منهم، وهو ما عرف باسم «حركة التطهير». وقد أورد ابن عذاري ذلك الحدث التاريخي الهام، ناقلاعن ابن الصلت - مؤرخ دولة المعز بن باديس - هذا البيت لمؤلف مجهول:

يا معزّ الدين عش في رفعة *** وسرور واغتباط وجذل
أنت أرضيت النبي المصطفى***وعتيقاً في الملاعين السّفل
وجعلت القتل فيهم سنّة*** بأقاصي الأرض في كل الدّول [1]

وإن كنا نستبعد أن يكون ذلك العداء بين المعز والوزير اليازوري هو السبب في الانفصال التّام من قبل المعز بن باديس عن الخلافة الفاطمية في مصر، إذ من المستبعد أن يؤدّي ذلك الخلاف بين المعز بن باديس والوزير أبي محمد اليازوري إلى ذلك الأمر الخطير، وهو التطاول من قبل المعز بن باديس على الخلفاء الفاطميين في مصر بلعنهم على المنابر في صلاة الجمعة والعيدين،[2]ولعلّ السبب الأقرب إلى الصحة في ذلك الانفصال هو ما أورده ابن عذاري من نبذ المعزّ بن باديس للمذهب الشّيعي واعتناقه المذهب السّني، إذ ذكر أن المعزّ بن باديس قد وقع تحت تأثير شيخ سنيّ المذهب كان قد

[1] - ابن عذاري: البيان المعرب، المصدر السابق، ج 1، ص 274.
[2] - ابن عذاري: البيان المعرب، المصدر السابق، ج 1، ص 277.

تولى تربيته منذ نعومة أظفاره. فكان لهذه التربية أثرها في نفسية المعزّ بن باديس، بحيث دفعته إلى نبذ المذهب الشّيعي واعتناق المذهب المالكي السنيّ[1].

ثانيا: إحياء المذهب السّني

كانت إفريقية كلّها والقيروان على مذهب الشّيعة الرّافضة وعلى خلاف أهل السّنة والجماعة، من وقت تملك عبيد الله المهدي (297 - 322هـ/ 910 - 934م)، وقد استطاع بعض فقهاء المالكية أن يصلوا إلى ديوان الحكم في دولة صنهاجة، وأثروا في بعض الوزراء والأمراء الذين كان لهم الفضل بعد الله في تخفيف ضغط الدّولة على علماء أهل السّنة.[2]

تولى المعزّ بن باديس الحكم بإفريقية وكان للعلامة أبو الحسن الزّجال الدور الفعال فقد كان أحد فقهاء المالكية الذين تمكّنوا من الوصول إلى ديوان الحكم في الدولة الزيرية، وأثّروا في بعض الوزراء والأمراء وفي أبنائهموأصبح ابن أبي الزّجال فيما بعد منجّم المعزّ وكبير وزرائه.

كان الزّجال ذا علم وعقيدة سليمة، وكان مبغضاً للعبيديين وعقيدتهم الفاسدة، وتشرب التلميذ المعز بن باديس هذه الأفكار من أستاذه، لتكون له فيما بعد منطلقاً لنشر السنة ومحاربة البدعة ودولتها العبيدية،في تربية المعزّ ابن باديس على منهج أهل السّنة والجماعة، فكان عمل أبو الحسن يتم في سرّية دون علم الشّيعة المسيطرين على الدّولة، وكان هذا العالم ذو خلق ودين وعقيدة، وكان مبغضا للمذهب الإسماعيلي الشيعي[3]، واستطاع أن يزرع التعاليم الصحيحة في فكر المعز ابن باديس والذي كان له الفضل في القضاء على المذهب الإسماعيلي الشيعي في إفريقية، تدرّج في عدائه للإسماعيلية وحكّام مصر، وكان ذلك سنة 435هـ/1044م[4].

استمر المعزّ ابن باديس بالتقرّب إلى العامّة وعلمائهم وفقهائهم من أهل السّنة وواصلالسّير في تخطيطه للانفصال الكلّي عن العبيديين في مصر، وليجعل المذهب المالكي هو المذهب الرّسمي لدولته، وأعلن انضمامه للخلافة العباسية، وغير الأعلام إلى العباسيين وشعاراتهم، وليحرق أعلامهم وشعاراتهم، وأمر بسبك الدراهم والدنانير التي كانت عليها أسماء العبيديين، كما أمر أيضا بضرب سكّة أخرى كتب على أحد وجهيها:«لا إله إلا الله محمد رسول الله» وكتب على الآخر:«وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِمِنَ الْخَاسِرِينَ»[5].

---

[1] - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6، ص. 187؛ ابن عذاري، البيان المعرب، المصدر السابق، ج 1، ص281.

[2] - ابن خلكان: وفيات الأعيان، 5/ 234. الذهبي: سير أعلام النبلاء، 18/ 140.

[3]-محمد علي الصلابي: الدولة الفاطمية، المرجع السابق، ص ص 95-96.

[4] - محمد علي الصلابي: المرجع نفسه، ص ص 95-96.

[5] - القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 85.

قام المعزّ ابن باديس بالقضاء على المذاهب المخالفة لأهل السنة من الصفرية والنكّارية والمعتزلة والإباضية، وضمّ برقة في سنة 443ه.

يعتبر عهد المعز ابن باديس علامة مميزة في تاريخ الدولة الزيرية، وتاريخ المغرب الإسلامي عامة، وكان له الفضل في القضاء على التشيع في إفريقية والقيروان، ما يقارب القرن والنصف، وهذه الفترة ساد فيها المذهب الإسماعيلي على حساب المذهب المالكي، وكانت السيادة للمذهب المالكي بفضل جهود كبار المالكية، ولتقطع العلاقة بين القيروان والقاهرة في عهد المعز ابن باديس وإعلان الخطبة العباسية، وعودة السّنة الإفريقية، ولتنتهي معاناة مشايخ المالكية على أيدي الشيعة، ودفع الشّيعة ثمن تشيعهم غاليا[1]، وجاء في كثير من كتب التاريخ أنّ المعزّ ابن باديس تدرّج في عدائه للإسماعيلية وحكّام مصر ، وكانت البداية سنة 435هـ / 1044م، عندما قام بتوسيع قاعدة أهل السّنة في الجيش والديوان وحتى دولته، وقام بعمليات تطهير واسعة للمعتقدات الكفرية، والقضاء على من يسبّ أصحابالرسول ، فرخص للعامة ولجنوده بالقضاء على من يقوم بسبّ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فشارك أغلبية العامة بإفريقية بالقضاء على بقايا العبيديينولتنتهي المعتقدات الفاسدةالداخلة[2].

وقد شجع العلماء والفقهاء بهذا العمل الذي أشرف عليه المعز بن باديس، وقد ذكرت أعمال المعز على لسان مجموعة كبيرة من الشعراء في قوافي وأشعار لمدحه.

لم يتشرّب المغاربة على وجه العموم العقائد الفاطمية، ويبدو أن الخروج عن الفاطميين كان الشعار الذي يرفعه كل ثائر في بلاد المغرب الأوسط، ليزيد لنفسه استقطاب الجماهير والحصول على ولائها، وذلك لأنّ هذا الخروج يرضي المغاربة والشّاهد علىذلك هو خروج المعز ابن باديس عن الدّولة الشّيعية الفاطمية[3].

المبحث الرابع: سياسة المعز بن باديس لإعادة بعث المذهب السني

كان للمعزّ بن باديس دور كبير، في إرجاع المذهب المالكي، حيث عمل على نشر المذهب السّني، كما تقرب من علماء وفقهاء أهل السّنة، إضافة إلى ولائه للخلافة العباسية، والدعوة لهم على المنابر، وقطع العلاقة مع العبيديين، وحرق أعلامهم وشعاراتهم، وبالتالي ساءت العلاقة بينه وبينالخلافة الفاطمية في مصر.

تعلّم المعز بن باديس على يد العلّامة أبو الحسن الزّجال فتربّى على منهج أهل السّنة، حيث أعطت هذه التربية ثمارها بعد أن تولى المعزّ إفريقية، وقد كان عمل العلامة أبو الحسن سرّا دون علم الشيعة بذلك، حيث كان مبغضا للمذهب الشيعي الإسماعيلي[4].

أولا: اهتمام المعز بن باديس بالعلماء:

من مظاهر إزدهار الحياة الفكرية خلال عهد المعز، حبس أهل البر والإحسان عددا كبيرا من الكتب على طلبة العلم، ومنهم أبو بكر عتيق السوسي الذي كان حافظا للفقه عارفا بمعانيه، وكان عالي المكانة عند المعز، لذلك بعث إليه كتبا جليلة مثل المدونة وغيرها، فلما وصل إليه الرسول أغلق الباب في وجهه، فلم يزل يلاطفه و يقول له:

---

[1] - عبد الحميد (سعد زغلول)، المرجع السابق، ص 279.

[2] - علي محمد الصلابي: نسر صفحات مطوية، المرجع السابق، ص 92.

[3] - عبد الحميد عويس: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط1، دار الشروق، بيروت - لبنان، 1980،ص 187.

[4] - الصلابي:المرجع السابق، ص 95.

«يقول لك المعز هذه الكتب في خزائننا ضائعة وأنتأولى بها» ، فقال له أبو بكر : «اكتب على كل جزء منها حبس على طلبة العلم»[1].

وكان لنساء سلاطين بني زيري والمعز بن باديس همّة كبيرةلإثراء مكتبة الجامع الأعظم بالقيروان، و قد استوجبت رداءة الخط وقلة المخطوطات وتشويه النسّاخ للخطوط الإعتماد على الرواية بالإسناد،وهذا ما كان يقع بالضبط بالنّسبة إلى القرآن والحديث، مما جعل من الضروري طلب العلم و مخالطة العلماء، وكانت الإجازة تتمثّل في رخصة يمنحها الأستاذ لتلميذه ليدرس نقلا عنه الكتب التي نقلها عن غيره أو ألّفها هو نفسه، ومن الفنون التي اهتم بها بنو زيري الخط العربي، فقد كانت مدة ولاية المعز بن باديس تمثل العصر الذهبي للخط الإفريقي، وقد احتفظ الجامع الأعظم بالقيروان في مكتبته بعدة نماذج من هذا الخط، ونحن نعرف اسم الخطاطة درة الكاتبة التي نسخت المصحف البديع المحبس على جامع القيروان من طرف حاضنة باديس الذائعة الصيت، و يبدو أنها كانت تعمل عند وراق يقال له علي بن أحمد الوراق، وقد صنع المصحف المذكور في مشغله، و كان الحارث بن مروان وابنه يحي ناسخين عند المعزّ بن باديس، واشتهر بفنّ الخط كلّ من إبراهيم بن موسى الماردیوعبد العزيز بن محمد القرشي الطارقي الكاتبان في ديوان رسائل الأمير[2].

حمل المعز بن باديس النّاس على مذهب الإمام مالك وجاءته مراسيم الخلع من القائم بأمر الله العباسي ببغداد مع أبي الفضل بن عبد الواحد التّميمي، من بني الهلال الذين كانوا من القرامطة وانقطععن العبيديين في مصر[3].

إنّ أغلبية سكان إفريقية كانوا متمسكين بالمذهب السنيّ رغم أن المذهب الشّيعي هو المذهب الرّسمي، وقد كان هناك شيخين من الشيوخ السّنيون يطالبون المعز بأن يخلع السلطة الفاطمية ومن بين هؤلاء الشيوخ أبو بكر بن عبد الرحمان وأبو عمران الفاسي الذين برزوا ولعبوا دوراً هاما في تغييرالعلاقات الزيرية[4].

ثانيا: معاداة المعز بن باديس للشيعة

وصلت أخبار إلى العبيديين بمصر دلت على كراهية المعزّلمذهبهم وذلك سنة 435هـ[5]، حيث بدأ المعزّ بتطهير المعتقدات الكفرية لمن يسبّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمر جنوده بقتل كل من يقوم بسبّ وشتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فسارعت العامة في بلاد المغرب للتخلص من بقايا العبيديين لتصفيته من المعتقدات الفاسدة الدخيلة عليه[6].

أمرالمعزّ بن باديس بلعن الشّيعة على المنابر وقد لعنوا بأقبح أوصافهم،[7] كما قضى على الشّيعة ومذهبهم، وكان هذا مشجعا للنّاس على اضطهادهم والفتك بهم، كما قضى المعز

---

[1] - عبد الرحمان الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005 ، ج 3، ص184.

[2] - روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص 385.

[3] - الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص224.

[4] - رشيد بوروبية: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1397هـ / 1977م، ص 41.

[5] - الطاهر أحمد الزاوي: المرجع نفسه، ص 222.

[6] - الصلابي:المرجع السابق، ص 96.

[7] - الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص224.

بن باديس على المذاهب المخالفة لأهل السنة، وكما يجدر بالذّكر التّنبيه إلى دور السّيدة أم ملال والعالم والفقيه الزّاهد أبي الحسن بن أبي الزّجال الذي وقع على عاتقه تعليم المعز بن باديس،وفي سنة 407هـ / 1016م كان المعز بن باديس من بداية ملكه منحرفا عن مذهب الرافضة، منتحلا للسنة وقام بالإعلان عن مذهبه ولعن الرافضة والشيعة لا يدرون بذلك، وقام بقتل كل من يجده منهم[1].

وقد قام المعز بن باديس بفصل بلاد المغرب عن الفاطميين وخلع طاعتهم، فكان أول من أعلن عن الانفصال، ولما بعث إليه المستنصر الفاطمي بالقاهرة يتوعده ويهدده فأجاب الرسول بقوله: « قللأميرك أن لنا ملك إفريقية قبل أن يكون للعبيديين ذكر»[2].

قام المعز بن باديس بقطع أسماء العبيديين من منابر خطبة الجمعة وجعل مكانها اسم الخليفة العباسي وخلع طاعته للعبيديين وذلك سنة 438هـ / 1046م، كما أرغم الناس بالعودة إلى مذهبمالك وقد تطهرت بلاد إفريقية من عقائد الفاطميين[3].

ثالثا: إجراءات المعز ضد الشيعة

قام المعز باتخاذ إجراءات بعمليات تطهير للمعتقدات الكفرية ومواجهة من يقوم بسب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فأباح للعامة قتل من يظهر السب و الشتم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقام العامة في المغرب الإسلامي من التخلص من العبيديين بالمنطقة و من المعتقدات الفاسدة[4].

كما قام بالتقرب إلى العامة وعلمائهم وفقهائهم من أهل السنة وواصل السير في تخطيطه للانفصال الكلي عن العبيديين في مصر، وليجعل المذهب المالكي هو المذهب الرسمي لدولته، وأعلن انضمامه للخلافة العباسية، وغير الأعلام إلى العباسيين وشعاراتهم، وأحرق أعلامهم وشعاراتهم، وأمر بسبك الدراهم والدنانير التي كانت عليها أسماءالعبيديين، كما أمر أيضا بضرب سكة أخرى كتب على أحد وجهيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكتب على الآخر «وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِمِنَ الْخَاسِرِينَ»[5].

كان المعز بن باديس منذ بداية ملكه 407ه/1016م منحرفا عن مذاهب الرافضية محبا للمذهب السني و أعلن عن مذهبه في أول أيام حكمه[6].

يشهد التاريخ أنّ المعز بن باديس أصبح علمًا من أعلام المسلمين ورمزًا من رموزهم، ودخل تاريخهم من أوسع أبوابه مسجلاً أعمالاً عظيمة،وهذا بقطيعته الولاء

---

[1] - سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين 3 منشأة المعارف، القاهرة، 1990م، ص382 .

[2] - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج 1، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ / 1965م، ص 338.

[3] - فايزة طيهار: المرجع السابق، ص 51.

[4] - محمد علي الصلابي، الدولة الفاطمية، ص 97.

[5] - القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 85.

[6] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 199.

للخلافة الفاطمية العبيدية ومناصرته للخلافة العبّاسية ولعلّ أشرف هذه الأعمال وقوفه في وجه المد الشيعي الرّافضي، الذي دام ما يقارب القرن والنّصف وتبنيه لمذهب أهل السّنة ببلاد المغرب.

الفصـــل الثالـــث

النتائـــج السياسيـــة و المذهبيـــة

- **النتائـج السياسيـة**
- **النتائـج المذهبيـة**

عرفت الدولة الزيرية الصنهاجية تطورا كبيرا في عهد الأمير الزيري المعز ابن باديس الصنهاجي، الذي أعلن ولاءه للخلافة العبّاسية على حساب الخلافة الفاطمية فكان له الفضل في الانفصال السّياسي والانفصال المذهبي بين الزّيريين في افريقيةو الانفصال عن الفاطميين الشّيعةفي القاهرة، فما هي النتائج السياسية و النتائج المذهبية المترتبة عن هذا الانفصال؟ وكيف كانت هذه النتائج؟.

المبحث الأول :االنتائج السياسية

أولا: استقلال المعز عن الفاطميين وعدائه لهم

كانت إفريقية شيعية على المذهب الفاطمي منذ أن سيطر الفاطميون عليها، وبتولي المعز الحكم الذي كانسلطانا جريئا في علاقته بالحكام الفاطميين بمصر .فكان يظهر لهم ندية كبيرة. وكان المعز منحرفاً عن مذاهب الاسماعيلي ومنتحلاً للسنة فأعلن بمذهبه لأول ولايته وترك المذهب الاسماعيلي. ثم صار إلى قتل من وجد منهم وفي عهده ألغى المذهب الشيعي، وخلع طاعة الفاطميين، ودعا للعباسيين وأعلن القطيعة للعلاقة بين دولته ودولة المستنصر بالله الفاطمي سنة 1049/441. فأسفر ذلك عن غضب الخليفة الفاطمي وتحريض القبائل العربية من بني هلال وسليم على الدخول إلى أفريقية[1].

يذكر ابن كثير و النويري برواية واحدة أن في سنة 435ه/1043م اظهر المعز في بلاد افريقية الدعاء للدولة العباسية في الخطب المنبرية ودعى للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، وفي أول كتاب أرسل إليه عن عبد الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحد ثقة الإسلام وشرف الإمام و عمدة الأنام ناصر الدين و قاهر أعداء الله و مؤيد سنة رسول الله أبي تميم المعز بن باديس بن منصور ولي أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين وأرسل إليه سيف وفرس وأعلام عن طريق القسطنطينية[2].

فوصل ذلك يوم الجمعة فدخل به إلى الجامع والخطيب على المنبر يخطب فدخلت الأعلام فقال: هذا لواء الحمد يجمعكم و هذا معز الدين يسمعكم واستغفر الله لي ولكم وقطعت الخطبة، للعلويين من ذلك و أحرقت بنودهم،[3] وفي سنة ٍ435/ 1043م اظهر المعز الدعوة لبني العباس وردّ عليه عهد من الإمام القائم بأمر الله العباسي،[4] أما المقريزي فاقتصر هو الآخر على عبارة موجزة :«فيها قطع المعز بن باديس الخطبة

[1] - الذهبي: المصدر السابق، ص140.
[2] - القسطنطينية : مدينة بالغة التحصن تقع في مضيق البوسفور، عاصمة إمبراطورية روما الشرقية (ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ح4،ص347).
[3] - ابن الأثير، الكامل، ح8، ص 266. النويري ،نهايةالارب ،ح24، ص116.
[4] - ابن أبي الدينار، المؤنس، ص104.

للمستنصر و دعا ببلاد افريقية للخليفة القائم بأمر الله العباسي، فبعث إليه الخلع من بغداد على طريق القسطنطينية»[1].

أما ابن كثير فقال :«وفيها خطب المعز أبو تميم صاحب افريقية ببلاده للخليفة العباسي وقطع خطبة الفاطميين و احرق أعلامهم و أرسل إليه الخليفة الخلع و اللواء المنثور وفيه تعظيما له وثناءا عليه»[2].

وكذلك ابن خلدون يقول: «أن المعز قطع أسماء بني عبيد من الطرز وبايع القائم العباسي و دعا له على المنابر سنة 437ه/1045م وبعث بالبيعة إلى بغداد وذلك في عهد اليازوريالوزير[3]، وذكر كذلك أن كتاب الخليفة قرئ بجامع القيروان ونشرت الرّايات السود وهدمت دار الإسماعيلية[4].

ويذكر كذلك العيادي نقلا عن المؤرخ الانجليزي ليين بول الذي حدد تاريخ القطيعة 438ه/1046م معتمدا على آخر عملة ضربت في المنصورية تحمل اسم الخليفة المستنصر[5].

وأيضا ابن عذاري يقول : « قطعت الخطبة لصاحب مصر و أحرقت بنوده، وأمرالمعز ابن باديس بان يدعى له على المنابر الإفريقية للعباس بن عبد المطلب ويقطع الدعوة للشيعة العبيديين، ففعلوا ذلك وكان سرور كبير في القيروان، وفي عيد الأضحى أمر الخطيب أن يسب بني عبيد ة قال: «اللّهم العن الفسقة الكبار والمارقين الفجار المتبعين غير سبيلك، المبدلين لكتابك... اللهم إن سيدنا أبا تميم المعز القائم لدينك و الناصر لسنة نبيك و الرافع للواء أولياءك[6] يقول: يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون».

وفي الأخير يمكن القول أن انفصال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية و إعلانه الولاء للدولة العباسية في سنة 435ه/1043م حيث توالت تبادل البعثات الرسمية بين بغداد و القيروان فكان بعضها ينجح في مهمته و البعض الآخر لا ينجح ، فكما نجح أبو الفصل في الوصول إلى القيروان سنة 439ه/1047م لم ينجح أبو غالب الشيرازي في الوصول إليها سنة 443ه/1049م وتم أسره[7].

---

[1] - المقريزي، اتعاظ الحنفاء،ح2،ص190

[2] - ابن كثير، البداية و النهاية، ح12، ص 51.

[3] - اليازوري : الحسن بن عبد الرحمان أبو محمد اليازوري ولد بفلسطين (يازور) وسكن الرملة و حكمها و اتصل بالمستنصر و لقبه سيد الوزراء (442ه/1050م).

[4] - ابن خلدون، العبر، ح6، ص29.

[5] - احمد محتار العيادي ، في التاريخ العباسي و الفاطمي ، ص 223.

[6] - ابن عذاري ، البيان، ج1 ، من ص277-278 .

[7] - السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير العصر الإسلامي ، ص662.

ثانيا: هجرة العرب الهلاليين

يطلق على هجرة بنو هلال[1]إلى المغرب،الغزوة الهلالية تغريبية بني هلال،وبدأت بسبب قطع العلاقات السياسية والمذهبية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة وبين الزّيريين في افريقية في عهد المعزابن باديس،[2] ولتزحف هذه القبائل من صعيد مصر نحو افريقية بعد أن اقنع الوزير اليازوري الخليفة الفاطمي بنقلهم، وعمل على تحقيق هدفين أساسين أوّلهمايكمن في تخلّص البلاد منهم والثاني القضاء على الدولة الصّنهاجية وإنشاء دولة عربية تابعة عوضا عنها. ولقد وضعت هذه الهجرة جماعات هلال بني عامر،وأهمّها،جحش والأثبج،زغبةرياح، ربيعة وعدى[3].

كانت قبائل بني هلال مستقرة في صعيد مصر،وكانت تثير المشاكل وتشكّل عبئا ثقيلا على الفاطميين، وكان لايسمح لهم بالرّحيل وإجازة النيل، [4] ولمّا أعلن المعز انفصاله سنة435ه/1043م، اهتدى العبيديين إلى طريقة مثلى للتخلص من هؤلاء الأعراب، حيث يتم إرسالهمإلى بلاد المغرب على شكل موجات هجرة بشرية، فيتحقق لهم بذلك مجموعة من الأهداف في مقدمتها التخلص منهم، فإن ظفر الهلالية بالمعز ابن باديس وعصبته صنهاجة كانوا أولياء للدّعوة وعمّالا بتلك القاصية، وارتفع عدوانهم ساحة الخلافة.

قدر عدد المقاتلين في الهجرة الهلالية الأولى بحوالي خمسين ألف مقاتل، والرّقم الإجمالي بمليون مقاتل، ولتتبعها موجات أخرى لهذه الهجرة،[5] ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه القبائل كانت مضطرة إلى نهب المزروعات وأعمال السلب، وذلك بسبب نفاذ مؤونتها التي حملتها معها بالرحلة، فكانت تنقض على ما يقابلها عند وصولها للعمران، كما أن هذه الهجرة لم تكن شرا خاصا، بل كانت شرا نتج عنه خيرا كثيرا[6].

إنّ الأزمة الاقتصادية التي مرّت بها مصر في هذه المرحلة والتي تفاقمت في عهد اليازوري هي السبب الرّئيسي الذي عجّل بالسماح للعرب بالهجرة من مصر باتجاه المغرب، وبسبب هذه الأزمة ارتفعت الأسعارسنة 446ه /1055 م وما تبعها من غلاء ووباء[7].

---

[1] - بنو هلال: قبيلة نسبة الى هلال بن عامر صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عبلان، انظر ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ص272.

[2] - شهاد الدين احمد بن عبد الوهاب (النويري): المصدر السابق، ص117

[3] - عبد الرحمن (ابن خلدون): المصدر السابق ، ص31.

[4] - ابن عذارى: البيان، ج1، ص297.

[5] - جورج مارسيه، المرجع السابق،ص197.

[6] - احد (حسن خضيري): علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب،د،ط، مكتبة مدبوب جامعة جنوب الواد الجزائر،1362ه/567ه/973ه/1071م،ص262.

[7] - تقي الدين احمد بن علي (المقريزي): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار الخطط المقريزية،ج1،ط1،تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي ، القاهرة مصر ، 1998،ص335.

دخلت الأعراب الهلالية إلى المغرب سنة 442ه/1050م، وجاء كتاب من اليازوري يقول فيه: «أما بعد، فقد أرسلنا إليكم فحولا، أرسلنا عليها رجالا كهولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا» ودخلت العرب فوجدوها بلادا طيّبة كثيرة المراعي،وكانت عمارتها زناتة فأبادهم المعزّ ابن باديس وقد استوطنوا بها[1]، وأهل الهلاليون خرابهموثوراتهم مع الزّيرين حتى وصلوا الحدود الحمّادية سنة 512ه/1018م،وقد اكتسوا القلعة الحمّادية وأهلكوها،فخرج إلى محاربتهم يحيى لين العزيز ومعه القائد علي بن حمدون فنكل بالهلاليين وعاد لبجاية وأن الأصل في ظهور بني هلال في الدولة الحمّادية يعود إلى محالفة الملك الناصر قبيلة الأثبج الهلالية سنة 553ه/1161م.[2]

ومن الواضح أنّ المعزّ ابن باديس قد اخطأ في تقديره لخطر الأعراب ولم يكن يظن أنهم يشكلون خطرا كبيرا على دولته، وربما يكون قد رجّح ظنّه على اطمئنانه من جهة برقة، ذلك أن أميرها جبارة ابن مختار العربي أرسل إليه بالسمع والطّاعة ونبذ العبيدين والدّعوة للعبّاسيين، وأغلب أهل برقة من بني قرّة العرب، لكن الأمور سارت في الاتّجاه المعاكس تماما فقد أراد العرب الوصول إلى القيروان[3].

وجد المعز ابن باديس نفسه في مواجهة قوى جديدة بعد أن تخلّص من التّبعية للعبديين وهي خطر الأعراب الهلالية، وهذه الفترة مثلت نهاية عهد المعز ابن باديس.

ثالثا: الحرب بين المعز ابن باديس والقبائل الهلالية

كان الغزو الهلالي لبلاد افريقية يمثل نكبة على المنطقة، حيث ارتبطت هذه الحركة بالتّخريب والقتل والنّهب، ليصف مجموعة من المؤرخين أمثال ابن خلدون وابن الأثير وغيرهم الأعراب الهلالية بأبشع وأقبح الصفات .

وأمام خطورة الأوضاع، قام المعزّ ابن باديس باتخاذ قرار متمثل في مواجهة الأعراب عسكريا واشترى العبيد، ووسع لهم في العطاء فاجتمع له ثلاثين ألف رجل،[4]وفي المقابل كان عدد الأعراب ثلاثة ألاف فارس.

فعندما رأت عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليم فقال لهم مؤنس «ما هذا يوم فرار»، فقالوا: «أين نطعن هؤلاء، وقد لبسوا الكازغنداتوالمغافر»،قال:«في أعينهم» فسمي

[1] - شهاب احمد بن عبد الوهاب (النويري): المصدر السابق، ج24،ص114.
[2] - عبد الرحمن بن (الجلالي): المرجع السابق،ص 380.
[3] - ابي الحسن علي بن ابياكرم(ابن الكثير): المصدر السابق، ص.295

[4] - شهاب احمد بن عبد الوهاب (النويري): المصدر السابق، ج24،ص290.

بذلك اليوم يوم العين،والتحم القتال وانهزم صنهاجة ورجع العرب، واستمرت الهزيمة وقتل من صنهاجة أمة عظيمة، ودخل المعز ابن باديس القيروان مهزوما.

ومن المعارك الكبرى التي نشبت بين الأعراب والمعز ابن باديس معركة عيد الأضحى وعرفت بالدّاهية الكبرى، وهي معركة جبل حيدران بين قابس والقيروان، وفي هذه المعركة بلغ جيش المعزّابن باديس حوالي ألف رجل[1]. وقد بدأ الهجوم على العرب وهم في صلاة العيد، لتقطع صلاتهم وركبوا خيولهم،ولتنهزم صنهاجة، ثم جمع المعز وخرج في صنهاجة وزناتة في جمع عظيم، ولمّا أشرف على بيوت العرب ركب خيولهم وهم زغبة وعدي،وكان عددهم سبعة ألاف، وقامت معركة بينهم وهزمت صنهاجة، وانهزمت بعدها زناتة وكلان أميرها المنصور ابن خزرون، ورجع المعز ابن باديس إلى المنصورية وأحصى من قتل من صنهاجة فكانوا ثلاثة ألاف وثلاثمائة[2].

وكنتيجة لتوالي هذه الهزائم العسكرية الكبيرة، لم يبق أمام المعز ابن باديس إلا اختبار واحد وهو رفع الحرب وإقرار السلم، وحصل ذلك في مطلع سنة 444ه/1052م، وسمح للعرب بدخول القيروان والقيام بما يحتاجونه من بيع وشراء، فلمّا دخلوا استطال عليهم العامّة وأوسعوهم إهانة وشتما، فقتل العرب منهم خلق كثير[3].

رابعا: نهاية عهد المعز ابن باديس

إن نهاية عهد المعز ابن باديس الزيري سبّبت كارثة سياسية واقتصادية، تمثلت في غزوة بني هلال الإفريقية، التي تمّت بعد النصيحة التي أسداها الوزير اليازوري إلى الخليفة الفاطمي،والتي تكمن في تسليم افريقيّة إلى جحافل الأعراب الهلالية الذين بدورهم كانوا عبئا ثقيلا عليه، وسببا في إثارة المشاكل. حيث عند دخولهم إلى افريقية صاروا يمثلون نكبة على الأمير الزّيري،[4]ومن ثم تغيرت الأوضاع بإفريقية بعد الزحف الهلالي، حيث عمد البعض إلى تحميل المعز ابن باديس نتيجة ذلك.

ولقد استولى العرب على القيروان وقاموا بتهديم الحصون والقصور، حيث كان هذا درسا قاسيا للمعزّ ابن باديس الذي بدوره أدرك أنّه لم تعد له الطاقة في المواجهة والتصدي للعرب الهلالية القوية،التي كانت سببا في هزائمه المتتالية، ومكرالعبيديين به كذلك، إضافة إلى تعرّضه لخذلان جنوده البرابرة، الذين كانوا يعظمون الخلافة العبيدية[5].

---

[1] - ابي الحسن علي بن ابياكرم(ابن الكثير): المصدر نفسه ،ص296.

[2] - ابي الحسن علي بن ابياكرم(ابن الكثير): المصدر نفسه ،ص292.

[3] - ابي الحسن علي بن ابياكرم(ابن الكثير): المصدر نفسه، ص297.

[4] - الهادي روجي (ادريس): المرجع السابق،ص245

[5] - احمد(بن عامر): الدولة الصنهاجية ، د. ط، الدار التونسية للنشر،تونس،1972،ص79.

بعد الهزيمة التي تلقّاها من طرف العرب الهلالية في449ه/1051م، غادر المعز ابن باديس بعدها القيروان إلى المهدية،التي استمر فيها حاكما،إلى أن وافته المنية فيها في 453ه/1062م.

المبحث الثّاني: النّتائج المذهبية:

أولا: زوال المذهب الشيعي الإسماعيلي

بذلت الدّولة الفاطميّة قصارى جهدها من اجل نشر مذهبها الشّيعي الإسماعيلي في بلاد المغرب الإسلامي ساعدها في ذلك جهود الدعاة الّذين لم يدّخروا أيّ جهد في سبيل نشر عقيدتهم، لكن برزت في الإتّجاه المعاكس مقاومة سنيّة شرسة تزعّمها فقهاء المالكية والّتي تصدّت ووقفت بالمرصاد لمحاولات تشيّع السكّان[1].

رغم الملاحم والبطولات الّتي حقّقها المالكية في إنقاذ مذهب أهل السنّة والجماعة، إلاّ أنّ المذهب الشّيعي الإسماعيلي بقي مسيطرًا على امتداد الفترة الّتي بقي فيها الفاطميّون في بلاد المغرب.

لكن بمجرّد رحيل المعزّ لدين الله الفاطمي إلى المشرق، ومعه عدد هام من قبيلة كتامة فقد هذا المذهب دعامته وأسباب وجوده ونفي بذلك عصبيّة القبيلة ونفوذ الدّولة وحلّ مكانه المذهب المالكي إلى اليوم، كما أنّ فقهاء المالكية وقفوا في وجه من بقي منهم يدعو للتّشيّع في المرحلة الأولى من مغادرة الفاطميّين الّذين استضعفوا ضعفاء الأيمان. لكنّ المدّة لم تطل حتّى خلى الجوّ للعقيدة الإسلامية الغرّاء الّتي لا تقبل التأويل وذلك بعد أنّ طهّر الفقهاء معتقدات النّاس من كل أنواع الشبهات والبدع[2].

ثانيا: اقبال سكان المغرب على المذهب السنّي المالكي:

وجد الفاطميّون صعوبة كبيرة في بسط سيطرتهم على المغرب الاسلامي حيث واجهوا مقاومة ومقاطعة وإنكارا من أهل إفريقيّة وفقهاء المالكيّة الّذين ثبّتوا أقدامهم بالقيروان وغيرها من المناطق، وجاهروا بإنكار مذهبه وحرّضوا النّاس على ذلك فاتّبعوهم، ووقفت إفريقيّة برمتّها موقف المعارض وعدم التّعاون مع كيان دولة ناشئة، وبما أنّ لا سبيل لفرض دولة على أناس يقاطعونها مقاطعة تامة[1].

ورغم الصّعوبات الّتي مرّ بها المذهب السنّي المالكي في بلاد المغرب الإسلامي ورغم المضايقات الّتي حلّت بعلمائها في العهد الفاطمي، إلاّ أنّ المذهب وبصفة متدرّجة سطع

---

[1] - طارق بن زاوي: استقلال المعزّ بن باديس عن الدّولة الفاطميّة(رسالة ماجستير: التّاريخ الوسيط: إشراف: د/ رافعي نشيد، جامعة الجزائر،2008-2009، ص 119.

[2] - عبد العزيز مجدوب: الصّراع المذهبي بإفريقيّة إلى قيام الدّولة الزّيرية، الدّار التونسية للنّشر، ط2، تونس، 1985، ص223.

[1] - فواد السيّد: ص 124.

نجمه من جديد، وقام بدور طلائعي في شتّى المجالات وذلك بسبب تفاعل العائلة الزّيرية مع الاتّجاه السنّي ولا سِيما المذهب المالكي[1].

ويبدو أنّ ابن الزّري (362ه/973م) حاول التّوفيق بين المذهبين السّني المالكي والشّيعي الإسماعيلي والدّليل على ذلك حضوره للصّلاة على جنازة أحد فقهاء المالكيّة أبو سعيد خلف بن عمر توفّي (371ه-986م) بمعيّة أتباع المذهبين من موافق ومخالف[2].

وفي عهد ابنه المنصور ابن بلكين(373-386ه/ 984-996م) توطّدت العلاقة بين الزّيريّين وأتباع المذهب المالكي، حيث أمر كاتبه أن يدفع للوافدين عليه من شيوخ القيروان عشرة آلاف دينار ضيافة فدعوا له وانصرفوا، ودعاهم مرّة أخرى وعبّر لهم عن استقلاليّته تجاه الفاطميّين[3].

وأمّا المعزّ بن باديس (406-454ه/ 1016-1062 م) فيعترف له العلماء بنزعته السّنّيّة حيث يذكر ابن عذارى أنّ وزير الأمير هو ابن الحسن بن أبي الزّجال هو الّذي دلّ المعزّ على مذهب مالك والسّنّة والجماعة والشّيعة لا يعلمون ذلك[4].

ثالثا: نتائج انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب:

رغم محاولة الفاطميّين إعادة سكّان إفريقيّة وحكّامها إلى جادّة الصّواب حسب رأيهم، مثل إرسال الدّعاة لدعوة النّاس إلى مذهبهم، إلاّ أنّ سكّان إفريقيّة صمّوا آذانهم عنهم ولم يجيبوهم، بل تطوّر الأمر إلى قتل أحد الدّعاة في عهد باديس بن منصور (386-406ه/996-1016 م) وهو نتيجة من نتائج انتشار المذهب المالكي.[5]أيضا القضاء في القيروان أصبح منحصرا في عائلة مالكيّة ثريّة بني هاشم الّذين كان لهم اتّصال وثيق بفقهاء المالكيّة، أمّا من النّاحية الفكريّة فإن الزّيريّين الخطر الّذي كان مسلّطا على تدريس المذهب الّسني المالكي وأصبح من الممكن تدريسه في الأماكن العموميّة، وازدهر التأليف في الفقه المالكي، وبرز فقهاء أعلام أعادوا للقيروان مكانتها أين أصبحت قبلة لتدريس الفقه المالكي[6].

وتطوّر الأمر أكثر عندما تحمّس العامّة لتقتيل من بقي من الشّيعة خاصّة في فترة المعزّ بن باديس ووقعت مجازر دامية مثل ما وقع سنة 406ه/ 1015 م بإفريقية، وما وقع بالقيروان سنة 407ه/ 1016م الّتي قتل فيها 3000 من الشّيعة بموضع عرف

---

[1] - الهنتاتي نجم الدّين: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5ه/11 م، منشورات تبر، تونس، 2004م، ص 171.

[2] - الهنتاني: المرجع السّابق، ص 171-172.

[3] - ابن عذارى: المصدر السّابق، ج1،ص 240.

[4] - المصدر نفسه، ص 273-274.

[5] - الدبّاغ عبد الرّحمن: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمّد الأحمدي أبو النّور، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م.

[6] - الهنتاني: المرجع السّابق، ص 173-172.

ببركة الدّم، وانتشرت المجازر وعمّت في مختلف المناطق، وذلك من خلال نشاط فقهاء المالكيّة الّذين كفّروا الشّيعة واستباحوا دماءهم واعتبروهم مرتدّين[1].

ولقد قرّب المعزّ بن باديس علماء المالكيّة منه وجعلهم محلّ الفتوى في البلاد وأعطاهم مناصب هامّة كالقضاء والإفتاء وإمامة الصّلاة حيث أصبحوا مؤثّرين في الحياة السّياسيّة وفي أوساط المجتمع بصفة عامّة[2].

استطاع المذهب السّني أن يستعيد مكانته وينتشر من جديد بعد أن زال خطر العبيديين وهذا بفضل الله ثم بفضل جهود الفقهاء المالكيين أمثال عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386ه/915م) الذي أعاد بعث المذهب بالتأليف والتعليم والتدريس والتوجيه خاصة في عهد المعز بن باديس الصنهاجي الذي سهل مهمة الفقهاء وقضى على الشيعة في افريقية والمغرب الأوسط والأقصى وأحيا السّنة و أوغلها في قلوب أهل المغرب.

[1] - المرجع نفسه، ص 176.

[2] - الهنتاني: المرجع السابق، ص- ص، 181-182.

خـاتمـة

في نهاية بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من النقاط أبرزها:

- أن الأوضاع السياسية في بلاد المغرب في القرن 5ه كانت مضطربة بشكل كبير هذا ما نستنتجه من خلال جملة من النقاط أبرزها:

- الفراغ السياسي والصراعات القبلية الكثيرة التي كانت منتشرة في أرجاء المنطقة وبطبيعة الحال الاضطراب السياسي، أثر على مختلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة الأمر الذي خدم بشكل كبير الدعوة ومهّد لظهور الدولة الفاطمية.

- بدخول المذهب الشيعي إلى بلاد المغرب الإسلامي ونشاط دعوته بالمنطقة استعرت حدة الصراعات والنزاعات المذهبية بين أتباع مختلف الطوائف على غرار المعتزلة والنكارية والصفرية والحنفية والمالكية والشيعية، وغيرها.

الأوضاع السابقة مهدت بشكل كبير جدا وخدمت الدعوة الشيعية الأمر الذي ساهم في تأسيس كيان شيعي مستقل ببلاد المغرب الإسلامي نجح في فرض هيمنته على كل المنطقة، كما أن حالة الغليان المذهبي في بالمنطقة دفع الحكام الفاطميين للتوجه إلى مصر خاصة وأن حكم المشرق كان دائما هدفهم الأسمى.

استغل المعز بن باديس حالة عدم ولاء السكان للشيعة استغله لصالحه وأعلن قطيعته مع الدولة الفاطمية و أسس دولة خاصة به وبذلك كان له دور كبير في الحد من النفوذ الشيعي و الفاطميين بها.

وفي سبيل الثأر من المعز بن باديس عمد الشيعة الفاطميون لإرسال القبائل الهلالية إلى المنطقة ودفعهم إلى غزوها بغرض القضاء على هذه الدولة الناشئة والانتقام من مؤسسها.

كل النقاط السابقة توضح لنا مدى ترسخ المذهب المالكي بالمنطقة وعدم استجابة سكانها للدعوة الشيعية التي حاولت مدّ جذورها وسط أهل المغرب الأمر الذي أفشل النشاط السياسي و الدعوي الذي قام به الشيعة.

في أعقاب إعلان المعز لقطيعته مع الشيعة بذل الكثير من الجهود في سبيل إحياء المذهب السني بالمنطقة، الذي انتشر وساد اغلب بلاد المغرب بعد اجتثاث المذهب الشيعي.

في الأخير نخلص بأنه لا يزال الموضوع بحاجة لدراسات قصد إزالة الغموض والتحقيق الكبير، في مثل هذه المواضيع التي تهتم بالعقيدة والمذاهب الدينية.

ملاحق

الملحق الأول:

خريطة الدولة الفاطمية في أقصى توسعها:

[1]

[1] - ابن حماد الصنهاجي: ألمصدر السابق، ص131.

الملحق الثاني:

نموذج للعملة الزيرية:

الوجه الأول

الوجه الثاني

[1]

[1] - صالح بن قرية: المسكوكات المغربية من الفتح إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر،1986، ص 487.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

- القرآن الكريم - سورة آل عمران آية:85.
- الأحزاب الآيتان:45-45.
- الأنبياء الآية: 105.
- الأحزاب الآية: 40.
- الحديد الآية: 3.

1- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د، ت.

2- ابن أبي أُصَيبِعَة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: د/ نزار رضا، دار مكتبة الحيات، بيروت د، ت.

3- ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، تح، ع الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ط2، 1995، ج6، ص 453.

4- ابن حمّاد: أخبار ملوك بني عبيد، تح نشيد سليمان، معهد العلوم الاجتماعية جامعة الجزائر، 1979.

5- أبو العرب احمد بن تميم، إفريقيّة وتونس، تح علي الشّابي، الدار التونسية، تونس، ط2، 1985.

6- أبو الفتح الشهرستاني: الملل والنّحل: تح محمد السيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت،ج1،ص 146.

7- أبو عبد الله المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987، ص 190.

8- احمد بن أبي الضياف احمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس 1976.

9- الخشني: طبقات علماء إفريقيّة، تح نشد بن أبي شنب، طبعة باريس 1915.

10- المالكي: رياض النفوس، طبقات علماء القيروان، تح: بشير البكّوش ومحمد العروسي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994.

11- المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميّين الخلفاء، تح، د/ جمال الدين الشيالي، القاهرة، ط2 1996.

12- النّعمان، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، ط2، 1986،ص 287.

13- النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: ع.المجيد ترحي، دار الكتب العلمية ط1، 2004.

14- عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني بيروت، ج6، 1983، ص 301.

15- عياض: موسى بن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح. د/ احمد بكير، محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت 1968. ج3.
16- مجهول، مفاخر البربر، تح محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 196.
17- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت ط2 1995، ج4 ص 420.
18- يحي خلكان أبو العبّاس: وفيات الأعيان، أنباء أبناء الزمان: تح إحسان عباس، دار الثقافة بيروت،ج2، ص 192.
19_ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 13، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، د، ت، د،م.

ب- المراجع:

1- إدريس هادي روجي: الدّولة الصنهاجيّة، تر حمّادي السّاسي، ج2، دار المغرب الإسلامي، باريس،1962.
2- التهامي إبراهيم: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة، تاشرون، بيروت، ط1، د، ت.
3- السيد أيمن: الدّولة الفاطميّة في مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 2000.
4-بروكمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تح نية أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط5، 1993، ص 151.
5- بن قرية: المسكوكات المغربية من الفتح إلى سقوط دول بني حمّاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
6- بن نية محمد محمود عبد الله: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 2000.
7- حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة وإكمال محمد العروسي وبشير البكّوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2،ط1، 199.
8- حسن حسني عبد الوهاب:1- خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ط4، 1968.
9- سرورو محمد جمال الدين: تاريخ الدّولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967.
10- عويسي عبد الحليم: دولة بني حمّاد، صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، ط2، دار الصحوة للنّشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
11- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطميّة من التأسيس إلى ق 5هـ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
12- مرمول محمد صالح: السّياسة الداخلية للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

13- مصطفى شاكر: موسوعة دول العالم الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص127.
14- موسى عبد الله كامل: الفاطميّون وآثارهم المعمارية في إفريقيّة ومصر واليمن، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001.
15- ورقات من الحضارة العربية بإفريقيّة التونسية، مكتبة المنار تونس،ج2، 1964.
16-العربي إسماعيل: دول بني حمّاد ملوك القلة وبجاية، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
17-عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي الفاطميّون، منشاة المعارف، الإسكندرية، ج3، د، ت.

المجلات:

1- مجلة حوليات: دور المسالك التجارية في نمو الاقتصاد للمغرب الأوسط في القرن الخامس هجري، جامعة الجزائر2، سنة 2023.
2- خلفات كمال: مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الامير عبد القادرللعلوم الاسلامية

الرسائل:

1 – كريمان كحلان: العلاقات الخارجية للدولة الحمادية، مذكرة ماجيستار في التاريخ الوسيط، جامعة محمد آكلي الحاج، البويرة،2015/2014.

2- رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80 ه / 699م – 362ه/973م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة 2006.
3- قادة سبع: الصراع المذهبي العقدي بالمغرب الاسلامي اسسه ومجالاته، اطروحة دكتوراه، اشراف دين معمر محمد، جامعة وهران، الجزائر،2015.

فهرس المحتوى

العنوان	الصفحة
مقدمة	1
الفصـــل الأول	
المبحث الأوّل: الأوضاع السّياسيّة	7
أوّلا: علاقة الفاطميّين بقبائل المغرب	7
أ -بقبيلة كُتامة	7
ب-علاقة الفاطميّين بقبيلة زناتة	9
ثانيا: الصّراع بين زناتة وصنهاجة	10
المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة	13
أوّلا: الأوضاع الاقتصاديّة	13
أ-مصادر بيت المال	13
ب -الصناعة	14
ج -الزّراعة	15
د -التّجارة	17
ه -سك العملة	19
ثانيا: الأوضاع الاجتماعية	21
أ– الأعراق	21
ب– الفئات	26
ج-واقع المرأة	29
د-المناسبات	31
ه-الصّحة	34
و-العمران	36
المبحث الثّالث: الأوضاع المذهبيّة في بلاد المغرب ق 5 ه	37
الفصـــل الثانـــي	
المبحث الأول: المعز بن باديس حياته وإمارته	46
أولا: حيـاته قبل الإمارة	46
أ – نشأته	46
ب – أعماله	49
ج – وفاته	50
ثانيا: إمـارته	51
المبحث الثاني: علاقة المعز بن باديس مع الشيعة الفاطميين	54
أولا: قبل تولي المعز بن باديس الحكم	53
ثانيا: بعد تولي المعز بن باديس الحكم	55
أ– العلاقات السلمية	55
ب– العلاقات العدائية	56

المبحث الثالث: قطع العلاقة مع الفاطميين وإحياء المذهب السني	**62**
أولا: قطع العلاقة مع الفاطميين	**62**
أ– بوادر بداية الانفصال عن الدولة الفاطمية	**62**
ب– الانفصال عن الدولة الفاطمية	**63**
ثانيا: إحياء المذهب السّني	**68**
المبحث الرابع: سياسة المعز بن باديس لإعادة بعث المذهب السني	**70**
أولا: اهتمام المعز بن باديس بالعلماء	**70**
ثانيا: معاداة المعز بن باديس للشيعة	**71**
ثالثا: إجراءات المعز ضد الشيعة	**72**
الفصـــل الثالـــث	
المبحث الأول:النتائج السياسية	**75**
أولا: استقلال المعز عن الفاطميين وعدائه لهم	**75**
ثانيا: هجرة العرب الهلاليين	**78**
ثالثا: الحرب بين المعز ابن باديس والقبائل الهلالية	**80**
رابعا: نهاية عهد المعز ابن باديس	**81**
المبحث الثّاني: النّتائج المذهبية:	**82**
أولا: زوال المذهب الشيعي الإسماعيلي	**82**
ثانيا: إقبال سكان المغرب على المذهب السنّي المالكي	**83**
ثالثا: نتائج انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب:	**84**
خـــاتـــــمة	**87**
الملاحق	**90**
قائمة المصادر والمراجع	**92**